تمّوز ٢٠٢١

تجارب أهليّة ومجتمعيّة في مكافحة العنف والجريمة من العالم

طاقم البحث:

شهرزاد عودة وخالد السيّد

أهل AHEL

تجارب أهلية ومجتمعية في مكافحة العنف والجريمة من العالم

OSF مشروع لمؤسسة أهل بدعم من منظمة المجتمع المفتوح

طاقم البحث شهرزاد عودة وخالد السيّد

تموز ٢٠٢١

الفهرس

مقدمة عامة

خلفية عن العنف والجريمة في المجتمع الفلسطينيّ - مراجعة أدبية

خلفية نظريّة

أدوات البحث

نتائج البحث

استراتيجيات من تجارب عالميّة

النماذج المختارة

«جيش جدعون» Gideon's Army

«وقف إطلاق النار في أوكلاند» Ceasefire Oakland

«إلى الأمام» 4Front

استنتاجات وتوصيات

نماذج من العالم لمكافحة العنف والجريمة

مقدمة عامة

يُعدّ العنف المسلّح من الأزمات الاجتماعيّة مستعصية الحل، إذ قد نرى عقودًا من التفاقم الحادّ في نسب الجريمة والعنف المسلّح في مناطق متنوعة دون وضوح السبب.[1] ومع العلم أنه في أي مدينة كانت، يبقى عدد الأشخاص المسؤولين عن غالبيّة أعمال العنف المسلّح قليل جدًا، وإليهم ينسب نحو ٧٠٪ من جرائم القتل المرتبطة بالأسلحة الناريّة، وهم عادةً مجموعات يمكن التعرف عليها وتحديدها.[2]

ومن الملاحظ أن العنف غالبًا ما يتركز في الأحياء ذات الدّخل المنخفض، كما أن المجتمعات المضطهدة والأقليات المهمشة تعاني منه بصورةٍ خاصة، على سبيل المثال: ذوي البشرة السمراء واللاتينيين في الولايات المتّحدة. ومع أن الجريمة لا تقتصر على مجتمعات دون غيرها، إلّا أنّ وطأتها على المجتمعات آنفة الذّكر، عادة ما تكون أكثر شدّة وتمتد لفترات زمنية أطول، لاسيما أن الدولة وأذرعها الأمنيّة والمدنيّة لا تولي الاهتمام ذاته لمعالجة المشاكل العميقة للعنف والجريمة في هذه المجتمعات، والتي عادة ما تتأصل في عنف بنيوي تميزيّ تمارسه الدّولة ضدهم على مدار عقود أو أكثر، مما يجعلها أقل حصانة تجاه العنف والجريمة، بسبب الأعباء الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة المعقدة التي تتحملها هذه الفئات جيلًا بعد جيل؛ من ارتفاع معدلات الفقر، أو سياسات الحبس الجماعيّ، أو تدني مستوى المؤسسات التعليميّة والتربويّة التي يرتادونها، أو انعدام الثّقة في المؤسسات الحكوميّة، لاسيما سلطات إنفاذ القانون. ولا يتوقف هذا العنف عند التأثير في ضحاياه المباشرين فحسب، وإنما يمتدّ لمحيط الضحايا والجناة على حدّ سواء، حتى يطال كافة المجتمع في نهاية المطاف.

وفي الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام ١٩٤٨، تُعدّ أزمة العنف والجريمة، اليوم، الملف الأكثر إلحاحًا على أجندات الأحزاب السياسيّة والسلطات المحليّة، والأطراف المتنوعة المعنية بها

1 National Institute for Criminal Justice Reform (NICJR), Effective Community Based Violence Reduction Strategies, 2 https://nicjr.org/wp-content/uploads/06/2021/Effective-Community-Based-Violence-Reduction-Strategies.pdf

2 Andrew V. Papachristos, Christopher Wildman, Elizabeth Roberto, Tragic But Not Random: The Social Contagion of Nonfatal Gunshot Injuries, Social Science and Medicine 125, January 150 - 139 ,2015 https://www.sciencedirect.com/science/article/abs/pii/S0277953614000987?via3%Dihub

في المجتمع الأهلي الفلسطيني. وهناك شبه إجماع حول مسؤوليّة المنظومة السياديّة الإسرائيليّة في تفشي هذه الظاهرة؛ إذ لها المساهمة الكبرى في تفتيت المجتمع الفلسطيني في الداخل وشرذمته، وإفقاره، وإدخاله في دوامة العنف والجريمة، ويتّضح ذلك من تواطؤ الشرطة الإسرائيليّة في عدم معالجة تلك الظاهرة المتنامية، على الرغم من اعترافها بخطورتها. فمنذ العام ٢٠٠٠، أي بعد مشاركة فلسطينيي الداخل في أحداث الانتفاضة الفلسطينيّة الثانية من خلال ما أُطلق عليه اسم «هبة القدس والأقصى»، سقط ضحّية العنف والجريمة ما يربو عن ١٥٠٠ شخصٍ، وهو عدد هائل نسبة لتعداد فلسطينيي الداخل الذي يبلغ مليونًا ونصف المليون نسمة (باستثناء القدس والجولان المحتلتين).

وبالرغم من عمق الأزمة واتساعها، لم تتخذ السلطات الإسرائيليّة خطوات جديّة حتى الآن لمعالجتها، علمًا بأنّها الوحيدة المخوّلة لعمل ذلك بما تملكه من مواردٍ وصلاحيات؛ فالملاحظ تعاملها مع الأزمة بعقلية الضبط والمراقبة؛ لمنعها من التسرب إلى المجتمع اليهودي الإسرائيلي، وهذا حالها في التعامل مع سائر مشاكل المجتمع الفلسطيني[٣]، إما عبر الإهمال المتعمد، وإما إهدار الموارد في محاربة قشور الظاهرة دون معالجة جذورها، وسط خطاب عنصري عام، يرد على ألسنة قادة شرطتها أو أحد وزراء أمنها على الأقل، حين ينظر إلى العنف والجريمة بأنه «مشكلة داخليّة ثقافيّة» في المجتمع الفلسطيني في الداخل، مرتبطة بشكل أساسي بـ»ثقافة الثأر» أو «قتل النساء» وغيرها من الخرافات الاستعماريّة[٤]، بينما تستمر الأشكال المختلفة للجريمة المنظمة بوضع أُسس أكثر متانة وعمقًا في القرى والبلدات الفلسطينيّة[٥]. ومع تزايد الضغط الشعبي والسياسي اللذين مارسهما المجتمع العربي الفلسطيني على الحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة لاجتثاث أزمة العنف والجريمة، تحاول السلطات اليوم، تقديم حلول، أكثر ما يميزها تنصل الدولة من مسؤوليتها تجاه نشوء هذه الأزمة وتفشيها، إضافةً لسعيها إلى صب غالبية الموارد في شرطنة الحيز الفلسطيني دون أن يطرأ أي تبدل على الوضع القائم، بل على العكس، طرأ

3 رضا جابر، «العنف والجريمة في المجتمع الفلسطيني في الدّاخل: السّياقات الاجتماعيّة والسّياسيّة»، قضايا سياسيّة 77، 30 نيسان/أبريل 2020، 68 https://search.emarefa.net/detail/BIM968582-

4 حسن شعلان، "إردان- العنف بالمجتمع العربي بسبب الثقافة"، عودة "عنصرية"، صحيفة واينت (اللغة العبرية) 2019\07\10 https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L5603828,00-.html

5 سهى عرّاف، «دولة داخل الدولة»: هكذا سيطرت منظمات الإجرام على المجتمع العربي، عرب 48، 14 كانون ثاني يناير 2020 https://www.arab48.com/محليات/دراسات-وتقارير/14/01/2020/-دولة-داخل-الدولة--هكذا-سيطرت-منظمات-الجريمة-على-المجتمع-العربي

ارتفاع واضح في معدلات الجريمة في البلدات التي افتتُحت فيها مراكز شرطة جديدة[6]، والتي لا تُظهر كفاءتها إلا في قمع الأنشطة السياسيّة والاحتجاجات الشعبيّة، بينما تُرتكب جرائم قتل على مقربة من مراكزها وعناصرها دون أن تعثر على الجُناة.[7]

وقُمنا في جمعية «أهل» بالاستعانة بالباحثين شهرزاد عودة[8]، وخالد السيّد[9]، لإعداد بحث يحاول رصد تجارب عالميّة لحراكات وتكتلات مجتمعيّةٍ حققت نجاحات نسبيّة في مكافحة العنف والجريمة على المستوى المحلي. ونسعى من خلال هذه الورقة إلى إعطاء نماذج عن تجارب مجتمعيّة في مكافحة العنف والجريمة؛ علّها تفيد الأطراف المعنية، من حركات، ومؤسسات شعبيّة تعمل في السياق ذاته في فلسطين، مسلطين الضوء على بعض الآليات والتكتيكات التي يُمكن الاستعانة بها خلال القيام بهذه المهمة شديدة الصعوبة.

خلفيّة عن العنف والجريمة في المجتمع الفلسطيني - مراجعة أدبيّة

الطبيعة البنيويّة لصراع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ مع «إسرائيل»، والعلاقة الاستعماريّة التي تجمع الطرفين، تحتم على المجتمع الفلسطيني، بالتوازي مع الاستمرار في ممارسة الضغوطات على المؤسسة السياديّة، أن يلجأ لحلول أكثر جذريّة من مجرد مطالبة الدولة بحلّ الأزمة؛ لأن آفة العنف والجريمة هي جزء من آثار عنف بنيوي متواصل، منذ النكبة وإعلان نشوء دولة «إسرائيل»، ضد الأقلية الفلسطينيّة. فمجرد إعلان قيام «إسرائيل»، ترجم الاستيطان الاستعماري على أرض الواقع بطرق متنوعة، أدت إلى تفكيك مستمر للعائلات، والمجتمع الفلسطيني، من خلال استخدام طرقٍ قمعيّة مثل التطهير العرقي، والتهجير، وهدم البيوت، والسجن، والمجازر، لإخراج الفلسطينيين، السكان الأصليين، من تجمعاتهم السكانيّة وأراضيهم، وتفكيك نسيجهم الاجتماعي والثقافي والسياسي[10]. تنظر «إسرائيل» إلى الفلسطينيين، على جانبي الخط الأخضر، على أنهم

6 Shahrazad Odeh, How crime became a cover for Israel to tighten control of Palestinian citizens, 972 Magazine, 4 December, 2020 https://www.972mag.com/crime-palestinian-citizens-israel/ ; مروان درويش، نداء نصّار واخرين، تسع سنوات من الدم - تقرير احصائيّ عن جرائم القتل لدى فلسطيني 48، بلدنا- جمعية الشباب العرب، حزيران 2020 http://www.momken.org/Public/files/9YOB20%report20%arabic.pdf

7 محمود مجادلة، كيف تمكن الجناة من تنفيذ جريمتهم في شارع 6 رغم تواجد الشرطة؟، عرب 48، 18 كانون أول ديسمبر 2020

8 شهرزاد عودة محامية وباحثة

9 خالد السيّد، باحث

10 Nadera Shalhoub Kevorkian, Security Theology, Surveillance and the Politics of Fear, Cambridge Studies in Law, and Society, ;2015 لم ينته التهجير القسري وهدم البيوت في الأربعينات من القرن الماضي، وإنما يستمر الى يومنا هذا في النقب في الجنوب، القدس، الشمال والمركز. يمكن معاينة تقارير جمعية بيتسيلم عن هدم البيوت في القدس تحديدا: https://www.btselem.org/planning_and_building/statistics

تهديد سياسيّ ووجوديّ لها،[11] وعلى هذا النّحو فإن الحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة، تتعامل مع هذه المجموعة بصفتها خطر ديمغرافي يجب درأه من خلال التقليل من أعداد الفلسطينيين، للحفاظ على الفوقيّة الإثنيّة اليهوديّة[12]. وتبعًا لهذه العلاقة ، فمن السهل رؤية «تقاعس» المؤسسة الإسرائيليّة في حلّ آفة العنف، ونسبتها لمشاكل اجتماعيّة وثقافيّة تخص المجتمع الفلسطيني، كأحد التكتيكات التي تتبعها الدّولة الاستعماريّة الاستيطانيّة في تفكيك لُحمة المجتمع، لاسيما في حالات قتل النساء[13]. عبر إضفاء طابعٍ ثقافيٍ للعنف لدى الفلسطينيين، تيسّر المؤسسة سيرورة تطبيع مع العنف[14]، وتسهل نزع الطابع السياسي عن العلاقات بين المجتمعين، المُستعمِر والمستعمَر. وهذا يفاقم من التقاعس في حماية ضحايا العنف؛ إذ تُحيَّد مسؤوليّة الشرطة تجاه شريحة كبيرة من السكان[15].

وتفاقمت الأزمة بشكل جدي خلال العقد الأخير، مما جعلها تقضُ مضاجع معظم فلسطينيي الداخل، فبحسب مسح أجرته جمعية «الجليل» و«ركاز – معهد الأبحاث الاجتماعيّة التطبيقيّة» حول تفشي العنف عام ٢٠١٩، يخشى نحو ٥٤٪ من المستطلعة آراءهم من احتمال التعرض لشكل من أشكال العنف[16]، بينما أشار ٦٠٪ من المستطلعة آراءهم في استطلاع رأي أجرته مؤسسة إسرائيليّة باسم «صندوق مبادرات إبراهيم»، إلى شعورهم «بغياب الأمان الشخصي» في بلداتهم، بسبب العنف[17].

فضلا عن ذلك، رغم ازدياد حالات العنف والجريمة في المجتمع الفلسطيني إلا أن السلطات الإسرائيليّة تختار مرّة تلو الأخرى، التغاضي عن ذلك، وتكريس مواردها للملاحقات السياسيّة.[18]

---

11 راسم خمايسي، الديموغرافيا في القدس: الواقع والتحولات واالستشراف، سياسات عربية 39، تموز يوليو 2019 https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/Siyassat-2019-39Khamaisi.pdf

12 Soffer, Arnon. «Demography and the Shaping of Israel's Borders.» Contemporary Jewry 105 -.91 :(1989) 10.2; Rasem Khamaisy

13 Nadera and Suhad Nashef; Manar Hasan, The politics of honor: patriarchy, the state, and the murder of women in the name of family honor, Journal of Israeli history 37-1 :(2002) 2-21.1 https://doi.org/13531040212331295842/10.1080.

14 Nadera Shalhoub-kevorkian (2004) Racism, militarisation, and policing: police reactions to violence against Palestinian women in Israel, Social Identities, 10:2, DOI:1350463042000227344/10.1080; Rosa Linda Fregoso, meXicana Encounters: The Making of Social Identities on the Borderlands, University of California Press, 18 ,2003. Accessed February 2021 ,8. http://www.jstor.org/stable/10.1525/j.ctt1pn5h6.

15 Nadera Shalhoub-kevorkian (2004) Racism, militarisation, and policing: police reactions to violence against Palestinian women in Israel, Social Identities, 173-172 ,10:2, DOI:1350463042000227344/10.1080

16 مسح العنف في المجتمع الفلسطيني في إسرائيل، جمعية الجليل - الجمعية العربية القطرية للبحوث والخدمات الصحية
ركاز - مركز البحوث الاجتماعية التطبيقية، 2019، 66

17 مؤشّر الأمن الشّخصي العنف، الجريمة وتواجد الشّرطة في البلدات العربيّة، مبادرات صندوق إبراهيم، 2018

18 تشير معطيات دائرة الإحصاء المركزية في إسرائيل، ان فلسطينيو ال- 48 يمثّلوا 79.7 بالمئة من البالغين المتهمين في جرائم ضد الدولة؛ و28.6 بالمئة من البالغين المتهمين بقضايا تمس بالنظام العام، وفقط 4.6 بالمئة من المتهمين بجرائم ضد حياة الإنسان؛ و34 بالمئة من المتهمين بجرائم ضد جسد الإنسان، للاستزادة دائرة الإحصاء المركزية في إسرائيل، البالغين المتهمين، بحسب نوع الجريمة وميزات مختارة، 9 يوليو 2020 https://www.cbs.gov.il/he/publications/doclib/8/2020.shnatoncrimeandjustice/st09_08x.pdf

في تصريح صدر مؤخرًا عن أحد قادة الشرطة الإسرائيليّة كشفته قناة «١٢» الإخباريّة الإسرائيليّة، يقول: إنّ سبب عدم اتخاذ الشرطة لخطوات عملية لمحاربة منظمات الجريمة في المجتمع الفلسطيني، هو أن معظم المجرمين يتعاملون مع جهاز المخابرات الإسرائيلي («الشاباك»)، لذا فإنهم يحظون بحصانة أمام سلطات إنفاذ القانون.[١٩]

كلّ هذا بينما يقف المجتمع الفلسطيني في الداخل عاجزًا عن اقتلاع المشكلة من جذورها. ولإعطاء لمحة عن ذلك العجز، يشير استطلاع رأي أُجري مؤخرًا إلى أن ٩٠,٨٪ من العرب الفلسطينيين المستطلعة آراءهم، وافقوا أو أبدوا جاهزيّة للموافقة على مقولة «من السهل حيازة السلاح في إسرائيل»[٢٠]. وهذا أحد الأدلة على أن حيازة السلاح غير المرخّص ازدادت في المجتمع الفلسطيني على مدار السنوات. في حين يشير استطلاع رأي آخر إلى أن ٤٪ من الفلسطينيين المشاركين فيه، أفصحوا أن أحد أقربائهم من الدرجة الأولى يحوز قطعة سلاح في المنزل (يمكن أن يكون سيفًا عُلق على الحائط، أو بندقيةً قديمةً، أو سلاحًا مرخّصًا)[٢١]، إلّا أنّ نتائج الاستطلاع تشدّد على أن فلسطينيي الـ ٤٨ لديهم أقل جاهزيّة في الإبلاغ عن حيازة أحد أفراد العائلة للسلاح من اليهود الإسرائيليين، والنساء كانوا هم الأقل استعدادًا من الرجال للإبلاغ عن ذلك[٢٢]. ويسهل الاستنتاج مما سبق، أن السلاح غير المُعلن عن حيازته أكثر بكثير مما هو معلن. كما تشير تقديرات إسرائيليّة حكوميّة، إلى أن حوالي ٤٠٠ ألف قطعة سلاح غير مرخّصة في البلاد، غالبيتها العظمى في المجتمع الفلسطيني داخل الخط الأخضر[٢٣]، كما أن ٨٠٪ من المتّهمين بجرائم مرتبطة بالسلاح في «إسرائيل»، بين الأعوام ٢٠١٥ و٢٠١٩، كانوا فلسطينيين[٢٤]. ناهيك عن أن ٨٢٪ من المتهمين بالقتل باستخدام السّلاح بين الأعوام ٢٠١٣ وحتى ٢٠١٩، في «إسرائيل»، هم أيضًا فلسطينيون.[٢٥]

---

19 موشي نوسباوم، الشرطة: معظم مرتكبي الجرائم في المجتمع العربي - متعاونو "الشاباك"، ماكو أخبار 12 (العبرية)، 30 حزيران يونيو 2021 https://www.mako.co.il/news-law/2021_q2/Article921-fce655fd5a71026.htm

20 Ali, Nohad and Ruth Lewin-Chen. 2019. Violence, Crime and Policing in Arab Towns: Personal Security Report. Samuel Neaman Institue and Abraham Initatives.

21 Aharoni SB, Lewin AC, Sa'ar A. Gender/Nationality Intersections in Attitudes Toward Gun Carry among Israeli Citizens. Sociological Perspectives. 10 January 2021 https://journals.sagepub.com/doi/abs/0731121420988573/10.1177

22 المصدر السابق.

23 الكنيست، كشف نقاش سريع حول الأسلحة النارية خلال وباء كورونا في لجنة مكانة المرأة: نصف النساء يقتلن على يد أزواجهن بالأسلحة النارية، (العبرية)، 22 أيلول سبتمبر 2020 https://m.knesset.gov.il/news/pressreleases/pages/press22092020f.aspx

24 نوريت يخاموفيتش، بيانات عن الجريمة في المجتمع العربي -تحديث، مركز أبحاث ومعلومات الكنيست، (العبرية)، 22 حزيران يونيو، 2020 https://fs.knesset.gov.il/globaldocs/MMM/6c51dc-26d9ae-ea00155-8107-11d0aee6_2/38c51dc-26d9ae-ea00155-8107-11d0aee15065_11_38.pdf

25 المصدر السابق

لم تأتِ هذه المعطيات من فراغ، فتواطؤ الشرطة لتعميق أزمة العنف والجريمة لدى المجتمع الفلسطيني، إضافةً إلى انعدام الثقة المتأصل بالمؤسسة، رسخ مناخًا من انعدام المساءلة القانونيّة؛ مما أنشأ حيزًا غير آمن في البيت والشارع. وبالتالي، فإن دخول الجريمة وأدواتها لحيز المنزل والعائلة خلق إشكاليات مجتمعيّة عديدة تزيد صعوبتها مع عدم الثقة بالمؤسسة الاستعماريّة وهيئاتها، إذ راكمت الأخيرة ممارسات قمعيّة تهدف لفرض السيادة والتقليل من الوجود الأصلاني[٢٦]، ويظهر هذا جليًا من خلال خلقها المناخ الملائم لما يُسمّى بـ «جُرم الدائرة المُغلقة»، والمقصود به تصدير غضب أولاد الشعب المستعمَر، أحدهم إلى الآخر، دون المس برموز، أو مجتمع المستعمِرين[٢٧]. كلّ ذلك بينما تجري[٢٨] عملية تفتيت للضبط المجتمعي في المجتمع الفلسطيني.

لهذا، ارتأينا في معرض بحثنا عن حلول للعنف والجريمة حول العالم، أن نركز على الدور الأهلي عوضًا عن السلطوي في معالجة هكذا أزمات، مع إضافة حالة واحدة للتحالف بين الأهالي والسلطات في محاربة الجريمة والعنف. وهنا لجأنا للمدرسة النقديّة في علم الجريمة والعقاب، والتي تنظر بطرق متنوعة إلى أساليب الضبط المجتمعي والعقاب، وتناهض أنظمة العدالة العقابيّة والانتقاميّة، إذ تنطلق في تحليلها للجريمة من كون الأخيرة مشروطة بمعايير تاريخيّة، وثقافيّة، وسياسيّة معينة، وتحللها من منظار اجتماعيّ بالدرجة الأولى، ولهذا فهي تدعم نهجًا بديلًا احتوائيًا وتأهيليًا للمتضررين من العنف، سواءً أكانوا ضحايا أم جُناة.[٢٩]

26 Nadera Shalhoub-kevorkian (2004) Racism, militarisation, and policing: police reactions to violence against Palestinian women in Israel, Social Identities, 173-172 ,10:2, DOI:13504630420002273 44/10.1080

27 frantz fanon, 246 ,2014.

28 سرار كيّال، الضبط المجتمعي والجريمة المجتمعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، مركز أمان، 6 نيسان أبريل 2021. الضبط المجتمعي والجريمة المجتمعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948 – أسرار كيال – مركز امان لمكافحة العنف (aman-center.org)

29 An Overview of The History and Theory of Transformative Justice, Anthony J. Nocella, Peace & Conflict Review, Volume 6, Issue ,1 1 ,2011.

خلفيّة نظريّة

بدأ التنظير واستخدام التحليل النقدي في علم الجريمة والعقاب كمجهود يسعى لاستبدال منظومة العقاب التابعة للدولة في ستينيات القرن الماضي، وسط احتجاجات حركة الحقوق المدنيّة في الولايات المتحدة، وحركة إصلاح السجون، ليقدمها ناشطون ومنظمون اجتماعيون، وسياسيون، ومحامون، ومحاضرو جامعات بوصفها نقدًا ماركسيًا للنظام الاجتماعيّ والسلطة، وكتحد لمنظومة العدالة الجنائيّة الأميركيّة وأذرعها الأمنيّة.[٣٠]

توسع المجال، لاحقًا، ليشمل تفرعات متعددة من النقد النسوي، والبيئي، واللا سلطوي، وحتى الكويري وغيره. ولكن ما يعنينا بشكل خاص في نماذج حلول الجريمة التي وجدناها في بحثنا، هو علم الجريمة والعقاب المهتم بإحقاق السلام، والذي ينطوي السلْم الأهلي في داخله أيضًا.

نشأ هذا المجال في الولايات المتحدة كاستجابة لسياسات «الحبس الجماعي» Mass Incarceration[٣١]، التي كان الرئيس الأميركي السابق رونالد ريغان عرّابها في نهايات سبعينيات القرن الماضي، لتصبح النظام المهيمن على منظومة العدالة الجنائيّة الأميركيّة.[٣٢] وبدأ مجال إحقاق السلام كمجهود نقدي لهذا الواقع، آمن واضعوه بأن الجريمة هي «نتاج بنية اجتماعيّة تضع بعض الفئات في وضع ضعيف، وتألّب الناس بعضهم على بعض، مما يولد الرغبة في الانتقام»[٣٣]. ويولي هذا النمط التحليلي أهمية خاصة للتعاون، والاحترام، والتسامح، والمساءلة والمسؤوليّة في حلّ معضلات العنف والجريمة. ومع أن مجالي العدالة الجنائيّة وعلم الجريمة والعقاب التقليديين لم يقبلاه، إلا أن النظريات التي انبثقت عنه تُستخدم في تجارب ناجحة في مكافحة العنف والجريمة حول العالم، ونخص منها بالذكر العدالة التصالحيّة والعدالة التحويليّة.

30 المصدر السابق, 2

31 المصدر السابق, 2

32 Gideon's Army, Driving While Black: A Report on Racial Profiling in Metro Nashville Police Department Traffic Stops, October 25, 2016 https://drivingwhileblacknashville.files.wordpress.com/10/2016/driving-while-black-gideons-army.pdf

33 An Overview of The History and Theory of Transformative Justice, Anthony J. Nocella, Peace & Conflict Review, Volume 6, Issue 1, 2011.

العدالة التصالحيّة

هي النظريّة الأبرز في علم الجريمة والعقاب المهتم بإحقاق السلام، وكان الباحث في علم الجريمة والعقاب هاوارد زيهر، أحد رواد التنظير في العدالة التصالحيّة، قد استند في تحليله للعدالة التصالحيّة إلى نماذج حيّة لدى السكان الأصليين في كلّ من الولايات المتحدة ونيوزيلندا[٣٤]، والتي تميزت بكونها تستخدم دوائر مجتمعيّة تضغط على طرفي النزاع، أي المعتدي والمعتدى عليه، لجلبهما إلى الطاولة ووضعهما في مواجهة بعضهما بعضًا أمام ممثلين عن المجتمع ليتحدثا عن الخلاف بينهما من أجل التعافي ومسامحة بعضهما بعضًا، وأخذ المسؤوليّة على أنفسهما. وهو بالمناسبة نموذجًا ليس بعيدًا عن منظومة الصُلح الفلسطينيّة من حيث الجوهر.

ويشرحها الباحث (رون كالاسان) مؤلف كتاب «العدالة التصالحيّة – المبادئ الأساسيّة»، على النحو التالي:

- تقوم العدالة التصالحيّة على أساس الاعتقاد بأن العقوبة تضر العلاقات الإنسانيّة، لاسيما بين الضّحية والجاني.
- تنظر العدالة التصالحيّة إلى الجريمة على أنها خطأ ارتُكب، وله تبعات خطيرة، ولكنه قد يتيح فرصًا أيضًا.
- تؤمن منظومة العدالة التصالحيّة بمعالجة الجريمة في أسرع وقت ممكن لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح مرة أخرى.
- تشمل العدالة التصالحيّة الضّحيّة وأصدقائها وعائلتها والمجتمع الموسع في عملية إحقاق العدالة.
- تعتقد العدالة التصالحيّة أنه بعد أن يصبح الجميع بمأمن من العنف، يمكن تحويل الحدث إلى لحظة تعلم للجميع؛ يتعلم فيها الجاني طرقًا جديدة للتصرف السليم في المجتمع.
- تعزز العدالة التصالحيّة المشاركة التطوعيّة في عملية إحقاق العدالة وليس الإجراءات القسريّة.
- تنادي العدالة التصالحيّة بإجراء سيرورة تصالحيّة تعاونيّة وتشاركيّة في حلّ النزاعات.
- تقر العدالة التصالحيّة بأن ليس كل الجناة على استعداد للتعاون. ولهذا، توجد حاجة

34 المصدر السابق, 3.

أحيانًا لسلطة خارجيّة لاتخاذ قرار بشأن الجاني بطريقة قسريّة.

- ترى العدالة التصالحيّة، على الرغم من أنه لا ينبغي استعمال السجن كنتيجة لهذه السيرورة، إلّا أن استعمال السجن مُستلزم في المواقف التي يكون فيها الجاني خطرًا على نفسه أو على الآخرين، حتى يحين الوقت الذي يكون فيه على استعداد للّقاء طواعية مع الضّحيّة.
- تؤكد العدالة التصالحيّة ضرورة المتابعة مع المتورطين في الجريمة؛ لمعرفة ما إذا كانت جميع الأطراف متمسكة بالاتفاق الذي عُقد في «الصُلح».
- تؤكد العدالة التصالحيّة دور المؤسسات الدينيّة في المساعدة على تحقيق العدالة بين الناس وتعزيز الأخلاق والقيم الأخلاقيّة داخل المجتمعات.

وللتلخيص، تمجد العدالة التصالحيّة اللاعنف، والتعاون، ولا تستخدم الإجبار إلا في حالات نادرةٍ؛ لدفع المعتدي إلى المشاركة في حلّ النزاع، وهي متمحورة حول حفظ السلّم الأهلي، والبديل القائم على تطوع أطراف النزاع لحله، بدل العلاقة القسريّة مع منظومة العدالة الجنائيّة الانتقاميّة، والمؤسسات العقابيّة.

العدالة التحويليّة

ظهرت ممارسة العدالة التحويليّة في نهايات التسعينيات، بصفتها نظريّة أكثر تقدميّة من العدالة التصالحيّة في معالجة العنف والجريمة، إذ عدّت الكاتبة الكنديّة (روث موريس)، أن الأخيرة لا تعالج قضايا الاضطهاد، وانعدام العدالة، واللامساواة الاجتماعيّة داخل الصراعات الأكبر.[٣٥] كما ونبعت العدالة التحويليّة من الحاجة إلى حلول أكثر جذريّة؛ لإحقاق السلام من العدالة الانتقاليّة، فهي تركز بشكل رئيس على العنف البنيوي الناجم عن الهياكل الاجتماعيّة الاقتصاديّة[٣٦]. إضافة إلى أن العدالة التحويليّة تستكشف هذا العنف البنيويّ، ووجهات النظر حول العدالة في مجموعة من السياقات السياسيّة المختلفة بهدف خلق التواصل من أجل السلام المستدام للجميع، وتتمعن بالمجتمعات الأكثر تأثرًا بالعنف المنهجيّ بهدف البحث عن أشكال العدالة التي تقطع العلاقة مع الهياكل التي أدت إلى العنف في المقام الأول، وتتمحور حول الدور الأهلي في معالجة ظواهر العنف والجريمة الناجمة عن أنماط العنف البنيويّ المختلفة[٣٧].

35 An Overview of The History and Theory of Transformative Justice, Anthony J. Nocella, Peace & Conflict Review, Volume 6, Issue 1, 2011.

36 Structural Violence, Socioeconomic Rights, and Transformative Justice, Mathew Evans, Jornal of Human Rights, 5 ,2016 ,20-1 :15.

37 Transformative Justice – A Concept Note, Paul Gready, Jelke Boesten, Gordon Crawford, & Polly Wilding, 2 ,2010.

الفارق الأساسيّ بين العدالة التحويليّة والعدالة التصالحيّة، هو أن الأولى تستخدم النّزاع كفرصة لمعالجة قضايا ظلم اجتماعيّ سياسيّ أوسع، بينما تركز الثانية على النزاع بين الجاني والضّحيّة بشكل عيني.[٣٨] على سبيل المثال، لا ترى العدالة التحويليّة في السارق فقره فحسب، بل عرقه، ومحيطه، وهويته، ونوع الظلم السياسيّ والاجتماعيّ الذي تتعرض له المجموعة التي ينتمي إليها، ولهذا تدعو لمعالجة النزاع عبر استعمال نهج مجتمعيّ شموليّ أكبر من مجرد الوساطة بين الجاني والضّحيّة، ولكنها قد تتضمن في عملها أشكال من تكتيكات العادلة التصالحيّة أيضًا.

هناك أربعة مبادئ أساسيّة للعدالة التحويليّة:

١. تعارض العدالة التحويليّة، العنف، والعقاب، والإيداع في المؤسسات والسجن.
٢. تؤمن العدالة التحويليّة بأن الجريمة هي شكل من أشكال الصراع المجتمعيّ، قد تشارك فيها السلطة والمجتمع على حدٍّ سواء.
٣. تضع العدالة التحويليّة الهويّة في لبّ رؤيتها الشاملة للعدالة عبر معالجة الظلم الاجتماعيّ والسياسيّ المرتكب ضد الفئات المهمشة.
٤. تؤمن العدالة التحويليّة بالوساطة، والتفاوض، والدوائر المجتمعيّة لمعالجة الصراعات.

باختصار، تعارض العدالة التحويليّة بشكل صريح المساعدة في اعتقال أيّ شخص، أو سجنه، أو طرده، من وظيفته، أو قمعه، أو اضطهاده. وهي تبحث عن الخير داخل الآخرين، مع إدراك أنظمة الهيمنة المعقدة. وانطلاقًا من هذه الرؤية، تدعو العدالة التصالحيّة جميع الأطراف المتضررة أو المسؤولة عن العنف والجريمة، للمشاركة في نقاش نقديّ بنّاء، يتحمل فيه الجميع عبئًا من المسؤوليّة، والمساءلة، والمبادرة للتعافي.[٣٩]

38 An Overview of The History and Theory of Transformative Justice, Anthony J. Nocella, Peace & Conflict Review, Volume 6, Issue 1, 2011.5.

39 المصدر السابق, 8

أدوات البحث

استخدمنا في كتابة هذه الورقة منهجية بحث شاملة دمجت بين أنماط بحث متعددة وأدوات متنوعة. إذ قمنا بفحص نماذج لمكافحة العنف والجريمة في مناطق مختلفة حول العالم، واعتمدنا لذلك تقاريرًا إخباريّة، وأبحاثًا رصدت عمل مجموعات مختلفة، إضافةً إلى التواصل مع ناشطين، وباحثين، وعاملين في مبادرات مشابهة داخل مجتمعاتهم. ومن أجل ضمان تحقيق أهداف البحث، شملت المنهجيّة مراجعة أدبياتِ البحوث المتاحة حول مكافحة العنف والجريمة.

تواصلنا مع العديد من الناشطين حول العالم؛ لاكتساب المعرفة حول النماذج الموجودة في بلدانهم، ونجحنا بإجراء مقابلات معُمقة مع ستة أشخاص من حِراكات فاعلة على أرض الواقع في كل من الولايات المتحدة، وجنوب أفريقيا، وبريطانيا. إضافةً إلى التواصل مع ناشطين وباحثين فلسطينيين؛ لرصد التجارب المحليّة الموجودة والفاعلة والتي أُدرجت أربع منها في هذا البحث.

استخلص البحث عشرة نماذج رئيسة من بلدان مختلفة تتشابه إلى حدّ ما بخلفياتها مع تجربة الفلسطينيين، من حيث السياق السياسيّ، وتحديدًا بما يخص الاستعمار الاستيطاني، والعنصريّة الهيكليّة ضد أقليات عرقيّة؛ وشملت النماذج أربع قارات مختلفة:

- ستة نماذج من القارتين الأميركيتين
- نموذج من ريو دي جانيرو-البرازيل في جنوب أميركا؛
- خمس نماذج أخرى من أميركا الشماليّة تشمل مدينة بوسطن في ولاية ماساتشوستس؛ وناشفيل في تنسي؛ ونيويورك المدينة؛ وأوكلاند في كاليفورنيا.
- نموذجان من أوروبا كلاهما من لندن-بريطانيا.
- نموذج من جنوب أفريقيا.
- نموذج من أستراليا.

تعمقنا خلال البحث بفحص هذه النماذج، وحاولنا التواصل مع مندوبين عن المؤسسات والحراكات التي عثرنا عليها، وتمعنّا في هيكلية عملها والخلفيّة السياسيّة الاجتماعيّة للمنطقة وأهل الحالة. ومن ثم اخترنا ثلاثة نماذج رئيسة رأينا أنها الأكثر ملائمة على المستوى التطبيقيّ، ليأخذ المجتمع الفلسطينيّ العِبر منها.

نتائج البحث

في البداية، نستعرض بعضًا من النماذج المحليّة القائمة والفاعلة، ومن ثم نقوم بعرض سريع للنماذج العالميّة التي بحثناها، ونتوقف في نهاية هذا الفصل عند ثلاثة نماذج رئيسة رأينا أنه من المهم التوسع فيها.

تجارب لجأ إليها المجتمع الفلسطينيّ لحلّ أزمة العنف والجريمة.

بالتوازي مع المسارات السياسيّة التي اتخذها ممثلو الجمهور إما على مستوى البرلمان الإسرائيلي (الكنيست)، أو على مستوى السلطات المحليّة العربيّة في الداخل المُحتل، للضغط على السلطات الحكوميّة من أجل حل أزمة العنف والجريمة، لا سيما بعد موجة احتجاجات عام ٢٠١٩، لجأ الأهالي في عدة قرى وبلدات فلسطينيّة في الداخل إلى التنظيم الذاتي من أجل مكافحة الآفة بطرق مختلفة، وعلى الرغم من صعوبة حصر نتائج هذه التجارب على معدلات العنف والجريمة، إلا أننا ارتأينا أن نذكر بعضها باقتضاب.

«الحراسة البلديّة»

أنشأ أهالي بلدة كفر قاسم قبل أكثر من عقدين جسمًا مكونًا من شبان القرية باسم «الحراسة البلديّة»، وهو جسم نشط بشكل متفاوت وبأنماط مختلفة منذ نشوئه. وفي السنوات الأخيرة، تُعد «الحراسة البلديّة» مبادرة شبابيّة يطغو عليها حضور ناشطين في الحركة الإسلاميّة-الشق الجنوبي. تهدف «الحراسة البلديّة» إلى المحافظة على البلدة من عصابات الإتاوات والإجرام، ومن أي اعتداءات خارجيّة، بما فيها اعتداءات المستوطنين على ممتلكات أهالي البلدة، والتي تتكرر بشكل دوري. ليس هناك أي توثيق رسمي لآليات المبادرة وطُرق عملها، عدا عن ظهورها في أخبار صحافيّة على فترات متباعدة، ولكن في مقابلات أجريناها مع عدّة أشخاص من البلدة، من المهتمين بهذا النموذج، تبين أن «الحراسة البلديّة» تعمل بالتعاون مع بلدية كفر قاسم، ولكن دون صفة رسميّة. وتضم «الحراسة البلديّة» مجموعة من الشباب الذكور من مختلف الفئات الاجتماعيّة في كفر قاسم، وبعضهم من أصحاب الأسبقيات الجنائيّة. ورغم أن المبادرة توفر حيزًا للشباب، إلا أنها لا توفر آليات إعادة تأهيل لهم، كما أن غالبيّة منتسبيها غير مؤهلين للتعامل مع حالات العنف المختلفة، ولذا، فإن مواقف أهالي البلدة منها، متفاوتة أيضًا،

بسبب تكرار بعض الممارسات العنيفة أو التسلطيّة من منتسبي «الحراسة البلديّة» الذين يجوبون البلدة في ساعات الليل، خصوصًا في موضوع محاولة فرض هيمنة ذكوريّة على النساء في الحيز العام، كإيقافهن في ساعات معينة من الليل واستجوابهن، أو غيرها من الممارسات ذات الطابع التسلطي. [٤٠]

أكد جميع من قابلناهم أنّه ليس لأعضاء «الحراسة البلديّة» القدرة على ردع الإجرام المنظم في كفر قاسم، ولكنهم يستطيعون أحيانًا التوسط في نزاعات خارج عالم الجريمة، كما أن تواجدهم الدائم في ساعات الليل يعطي الانطباع (على الأقل لجزء من سكان كفر قاسم)، بالطمأنينة تجاه فرض حد أدنى من ضبط الحيز العام وسط غياب عناصر الشرطة عنه، لاسيما أنهم نجحوا في منع الإتاوات أحيانًا، وبعض السلوكيات التخريبيّة في مساحة البلدة، كما أن بعض الأهالي يتواصلون مع أفراد المبادرة طلبًا للمساعدة في بعض المشاكل والأزمات. [٤١]

وحاولت الشرطة الإسرائيليّة بطرق شتى أن تمنع عمل «الحراسة البلديّة»، أو أن تضبطه داخليًا على الأقل، ولكنها لم تُفلح بذلك. وفي عام ٢٠١٧ استهدفت الشرطة شباب «الحراسة البلديّة» بشكل مباشر، واعتقلت مجموعة من الناشطين فيها[٤٢]. بالمقابل قام نشطاء الحركة بالتظاهر أمام مركز الشرطة، وأثناء التظاهر اغتال أحدُ عناصر الشرطة الشابَ محمد طه، الناشط في صفوف «الحراسة البلديّة»؛ لتندلع مواجهات عنيفة في المكان، تلاها احتجاجات أثناء تشييع جثمان الشّهيد[٤٣].

يُذكر أيضًا أنّ شابّين من المجموعة قُتلا في خلافات تطورت على إثر عملهم في «الحراسة البلدية»، عند منعهم الإتاوات في كفر قاسم، مما عرض المجموعة لسلسلة من الاعتداءات، يعتقد البعض أنها مرتبطة بالجريمة المنظمة. [٤٤]

40 من مقابلة مع ناشطة اجتماعية من كفر قاسم 30.6,2021

41 من مقابلة مع مختصّ مهتم بالعنف والجريمة 27.07.2021

42 ضياء حاج يحيى، كفر قاسم: لماذا اعتقلت الشرطة أفراد الحراسة البلدية؟، عرب 48، 20 تشرين أول أكتوبر 2017 كفر قاسم: لماذا اعتقلت الشرطة أفراد الحراسة البلدية؟ | محليات | عرب 48 (arab48.com)

43 ضياء حاج يحيى، من هو الشهيد محمد محمود طه؟، عرب 48، 6 حزيران يونيو 2017 (arab48.com) من هو الشهيد محمد محمود طه؟ | محليات | عرب 48

44 من مقابلة مع ناشطة اجتماعية من كفر قاسم 30.6,2021.

حراك «الشباب المجدلاوي»

انطلق الحراك احتجاجًا على جريمة قتل أودت بحياة ثلاثة شبان في وضح النهار في قرية مجد الكروم، نهايات عام ٢٠١٩، بعدما تجمهر الآلاف أمام مركز الشرطة احتجاجًا على الجريمة بشكل عفوي، إذ تجمع بعض الشباب الناشطين من البلدة[٤٥]، وأطلقوا سلسلة من المظاهرات اليوميّة قبالة المركز، مطالبين الشرطة بأخذ دورها في القضاء على ظاهرة الجريمة والعنف، ومصادرة الأسلحة الناريّة، والقبض على الجناة ومعاقبتهم.

«الحراك الفحماوي الموحّد»

لمدينة أم الفحم أهمّية خاصة في الداخل الفلسطيني، إذ لطالما كانت من الأماكن المركزيّة القليلة التي احتضنت الحركات السياسيّة المناهضة للاحتلال، وكونها ثالث أكبر تجمع سكاني لفلسطينيي الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨. ولكنها نالت نصيبًا مؤلمًا من آفة العنف والجريمة، إذ فقدت العشرات من أبنائها وبناتها على مدار العقدين الماضيين، ونشأت فيها عدّة حركات احتجاجيّة ضد العنف والجريمة، أهمها وأكبرها، وأكثرها احتواء للشرائح المختلفة في المدينة، انطلق مع بداية عام ٢٠٢١، تحت اسم «الحراك الفحماوي الموحد»، والذي توحدت بناته وأبناؤه بالفعل على بضعة مبادئ قليلة أهمها حب البلد والإقرار المُعلن بالمسؤوليّة المطلقة للدّولة وأذرعها الأمنيّة، وتحديدًا الشرطة، في مفاقمة الآفة في البلدة. وهذا ما دفع الأهالي إلى تنظيم مظاهرات أسبوعيّة على مدار أشهر طويلة ضد العنف والجريمة قال بعض أفرادها بمناسبات متفرقة: إنها أحدثت انخفاضًا مؤقتًا في حوادث إطلاق النار والقتل في البلدة. ومن اللافت في هذا الحراك أنه عمل بشراكة حقيقيّة مع بلدية أم الفحم والقيادات السياسيّة المتنوعة في المدينة، لاسيما في تنسيق الاحتجاجات، ونشر مطالب الحراك.

ومع أنّ الحراك لا يزال حديث النشأة، إلا أنه استطاع أن يجمع أكثر من عشرين ألف متظاهرٍ من مختلف المناطق في الـ ٤٨[٤٦]، في مظاهرة واسعة ضد العنف والجريمة، إضافة لإفرازه مشاريع مختلفة تعمل اليوم في المدينة على محاربة العنف والجريمة بأساليب متعددة.

45 https://www.youtube.com/watch?v=rLjd4JIkqX8 موقع عرب 48، مناع: حراكنا ضد الجريمة مستمر حتى ترضخ الشرطة لمطالبنا، أكتوبر تشرين أول 12، 2019

46 نضال محمد وتد، آلاف الفلسطينيين يتظاهرون ضد العنف والجريمة وتواطؤ الشرطة في أم الفحم قضايا وناس، العربي الجديد، 5 آذار مارس 2021 آلاف الفلسطينيين يتظاهرون ضد العنف وتواطؤ الشرطة في أم الفحم (alaraby.co.uk)

تجدر الإشارة إلى أن النماذج المذكورة أعلاه لا تتطرق إلى منظومة الصُلح الفلسطينيّة، والتي لا يزال عملها مُستمرًا بأشكاله المختلفة منذ ما قبل النّكبة، سواء على المستوى المحلي للقرى والبلدات العربيّة في الداخل، أم على المستوى القطري. ويكاد أن يكون الصُلح هو المنظومة الوحيدة التي تعمل على حل الصراعات العنيفة بين الأهالي سواء في عالم الجريمة أم خارجه في المجتمع الفلسطيني، ولكننا لم ندرجها في بحثنا لما يتخللها من إشكاليات عديدة تحتاج أبحاثًا ودراسات تختلف عن طبيعة غرضنا من هذه الدّراسة، ناهيك عن أنها مخصصة لحلّ النزاعات العينيّة، وليس لعلاج أزمة العنف والجريمة بشكلها الاجتماعي.

استراتيجيات من تجارب عالميّة

وجد البحث عشرة نماذج لتجارب تعمل على مكافحة العنف والجريمة في مناطق متنوعة من العالم. واعتمدنا في بحثنا على سياقات عالميّة تتشابه مع الحالة السياسيّة والاجتماعيّة للفلسطينيين، والسياق الاستعماري الذي يعيشونه. ولهذا اخترنا عشرة نماذج تركز بالأساس على تجارب لمكافحة الجريمة لدى أقليات إثنيّة، أو مجموعات مُستعمرة، ما عدا نموذج واحد من أستراليا شمل البلاد بأكملها.

نستعرض في البداية التجارب التي قررنا عدم التوسع بها؛ لعوامل مرتبطة بمدى واقعيّة تطبيقها في المجتمع الفلسطيني داخل الخط الأخضر، ومن ثم نخوض في ثلاثة نماذج رئيسة اخترناها لبحثنا وهي (Gideon's Army) من مدينة ناشفيل في ولاية تنيسي و(Ceasefire Oakland) من مدينة أوكلاند في ولاية كاليفورنيا، ونموذج (4Front) من العاصمة البريطانيّة لندن.

١. تحيا ريو (Viva Rio) ريو دي جي نيرو البرازيل

بعد عقود من الحكم الدكتاتوري العسكري الذي انتهى عام ١٩٨٦، بدأ البرازيليون يعملون على إنشاء نظام ديمقراطي. وفي الفترة الانتقاليّة التي سبقت ترسيخ نظام الحكم الديمقراطي، شهدت البرازيل ارتفاعًا حادًا في معدلات العنف والجريمة المنظمة، حيث كوّنت هذه العصابات «أجنحة عسكريّة خاصة» بها؛ للسيطرة على الحيز المدني. وأُسّس حراك (Viva Rio)، على يد بعض الناشطين السياسيين الذين عارضوا النظام الدكتاتوري العسكري، وعاشوا في المنفى في منتصف سنوات الستين من القرن الماضي، وغيرهم.

وعند عودة هؤلاء في السبعينيات إلى بلادهم رغبةً بالتغيير، كانت نسب العنف والجريمة المرتفعة إحدى الأمور الملحة التي اضطروا لمحاربتها، ولكنهم لم ينالوا الرواج الذي أرادوه؛ لأن القضيّة كانت غائبة عن العاملين في الحيز العام. ونشأت حملة (Viva Rio) في ١٩٩٣ كردة فعل مباشرة لحادثين عنف في مناطق حضريّة، في ظلّ انعدام الثقة بالدولة وأجهزتها الأمنيّة، ناهيك عن أن مفهوم المجتمع المدني في ذلك الحين لم يكن موجودًا[٤٧]. ومنذ إقامته تطور الحراك إلى منظمة كبيرة ومؤثرة تواصل حشد الجمهور بشأن قضايا السلامة العامة وفي الوقت نفسه تنفذ مشاريع واسعة النطاق، تهدف إلى تحسين حياة سكان مدينة ريو.[٤٨]

حدّد الحراك دقيقتين صمت يوميًا، تتوقف بها ساعة حائط كبيرة موجودة في وسط مدينة ريو دي جانيرو، كخطوة رمزيّة تعبر عن الاستياء العام من أزمة العنف والجريمة، ودعوة لمشاركة الأهالي في العمل على مكافحتها. وبادر نائب مدير أقوى المنابر الإعلاميّة في البرازيل، وقتها، لإنجاح الحركة وحشد مهنيين مختلفين، كمنابر إعلاميّة أخرى، وناشطين اجتماعيين، واتحاد تجاري، وأرباب أعمال، لاجتماع عام حول العنف في المدينة. وساهم هذا التدخل الإعلامي المكثف بحشد الناس.[٤٩]

دون تدخّل حكومي، ودون أن تكون أيّ جهة محددة مسؤولة عن الحراك الشعبي، حضّر الحراك لهذه الحملة عن طريق إنشاء مجموعة مسؤولة مكونة من أربعين شخصًا هدفها الإجابة عن سؤالين أساسيين: «ماذا يمكن فعله لتقليل العنف في ريو؟» و «ما الذي على الحكومة أن تفعله للمساعدة في ذلك؟». المجموعة جلست مدة أسبوعين وقابلت أشخاص من خلفيات عديدة، مثل زوجة تاجر مخدرات، وأسير سابق، وأكاديميين، وناشطين، وآخرين[٥٠]. تشارك (Viva Rio) اليوم في العديد من المشاريع الاجتماعيّة، وتركز عملها على ثلاث مجالات: التواصل المجتمعي (community outreach)، وتكنولوجيا الاتصالات، والأمن البشري[٥١]. وترتكز هذه المشاريع في البحث عن المشكلة وتطوير الحلول لها وتنفيذها فيما بعد. يتم تنفيذ هذه الحلول بدايّة على نطاق صغير، واعتمادًا على نجاح

47 Adele Kristen, The Role of Social Movements in Gun Control: An international comparison between South Africa, Brazil and Australia, Centre for Civil Society, 21, September 2004.

48 Viva Rio, About Us http://vivario.org.br/en/about-us/

49 المصدر السابق

50 المصدر السابق

51 Menucci, Juliana. “Capitalizing on Communications and Technology in the Favelas of Rio de Janeiro”. iaf.gov. Inter-American Foundation. n.d. 9 November 2010.

التجربة، يتم تطبيقها بعد ذلك على مستوى المدينة أو المنطقة[٥٢].

٢. الائتلاف لضبط السلاح (Coalition for Gun Control) أستراليا

في تسعينيات القرن الماضي، كانت أستراليا من بين الدول الأكثر تساهلًا مع حيازة السلاح، خصوصًا السلاح الأوتوماتيكي. عمل ائتلاف CGC منذ ١٩٩٢، على عدة أصعدة ووضع خططًا سياسيّة، وكتب مسودات وتعديلات على قوانين حيازة السلاح، وبدأ بحملات مناصرة في البرلمان الأسترالي لتغيير القانون. وأطلق الائتلاف حملات توعويّة في أستراليا تهدف لتغيير قوانين السلاح. أما التغيير الفعلي الذي طرأ على سياسات السلاح في أستراليا، فقد حدث بعد مجزرة ارتُكبت في منتجع في نيسان/ أبريل ١٩٩٦، حيث دخل شخص المنتجع وقتل ٣٥ شخصًا[٥٣]. بعد المجزرة، كانت الأرضيّة للمطالبة بتغيير السياسات خصبة، لذا عمل الائتلاف جاهدًا على تغيير الحوار القومي والاجتماعي حول الموضوع؛ مما ساعد في حشد الناس في مظاهرات عديدة في سيدني في الأسبوع الذي تلى المجزرة؛ للمطالبة بضبط السلاح وتغيير السياسات[٥٤]. بعد يوم من الحادث أقر رئيس وزراء أستراليا (جون هوارد) أنّه سوف يغيّر السياسات المتعلقة بالسلاح.[٥٥] وتُرجم ذلك بقوانين ومعاهدات لضبط حيازة السلاح في أستراليا المعروفة باسم الاتفاقية الوطنيّة للأسلحة الناريّة (National Firearms Agreement (١٩٩٦)[٥٦]، واتفاقية السياسة الوطنيّة للاتجار بالأسلحة الناريّة (National Firearm Trafficking Policy Agreement (٢٠٠٢، والاتفاقية الوطنيّة لمكافحة المسدسات (National Handgun Control Agreement (٢٠٠٢.[٥٧]

٣. جنوب أفريقيا خالية من السلاح (Gun Free South Africa)

بحسب مقابلة أجريناها مع (أديل كريستن) مديرة مشروع (Gun Free South Africa)؛ طبق نظام الأبرتهايد، قبل سقوطه، سياسة ممنهجة لمحو المجتمع الأصلاني من خلال نشر العنف والجريمة، على مبدأ «دعوهم يقتلون بعضهم بعضًا لكي نتخلص منهم جميعًا»[٥٨]. شهدت جنوب أفريقيا تحركات عديدة لضبط السلاح ما قبل فك نظام الفصل العنصري،

52 Viva Rio website, http://vivario.org.br

53 المصدر السابق

54 المصدر السابق

55 المصدر السابق

56 Firearms Act 1996 No 46, Part 2, Division 2, Section 12 – Genuine reasons for having a licence». NSW legislation. Retrieved 24 February 2018.

57 «Legislative reforms». Australian Institute of Criminology. Australian Government. Retrieved 21 December 2017. This article contains quotations from this source, which is available under the Attribution 3.0 Australia license.

58 مقابلة مع أديل كريستن وطاقم البحث 28.5.2021

لكن لحظة سقوطه أحدثت انخفاضًا بمستويات النضال الشعبي في جنوب أفريقيا، بعدما ساد الشعور بأن الأصلانيين حققوا المستحيل بإسقاطهم النظام، لذا لم تعد هناك حاجة للاستمرار في النضال.[٥٩]

وُلدت حملة (Gun Free South Africa) وسط حركة احتجاجيّة أوسع طالبت بالديمقراطيّة، واعتبرت سهولة حيازة الأسلحة تهديدًا لهذا المسعى وللمجتمع. وجاءت كنتيجة مباشرة لارتفاع منسوب العنف والجريمة خلال فترة مفاوضات إنهاء الأبرتهايد بين الأعوام ١٩٩٠ وحتى ١٩٩٣، لاسيما حوادث القتل الجماعي. وفي تلك الفترة تحديدًا، طرأ تحول على الخطاب العام، كانت حملة (Gun Free South Africa) جزءًا مركزيًا فيه، وأصبحت مكافحة العنف والجريمة على الأجندة الوطنيّة لجنوب أفريقيا. [٦٠]

ولأن ناشطي الحركة كانوا ممن ناضلوا ضد نظام الفصل العنصري، فإنهم أسسوا عملهم بعد سقوطه، مع التركيز على أن أثر سياسات التفرقة العنصريّة لا يزال محسوسًا حتى يومنا هذا. ولكن ذلك، أيضًا، أدى إلى تفاقم خطورة العمل في هذا المضمار، إذ تعرض ناشطون كثر للتهديدات والاعتداءات، وأحيانًا القتل؛ بسبب عملهم في محاربة العنف والجريمة[٦١]. تعتقد (كريستن) أن معظم الناشطين في مكافحة الجريمة هم من النساء، لكنهن أيضًا الأقل إقبالا في التبليغ عن جريمة ما أو حيازة أحد أفراد أسرهن للسلاح.[٦٢]

٤. (Common Justice) وهي تجربة انبثقت عن مؤسسة مجتمع مدني أميركيّة عملاقة تُدعى (Vera Institute of Justice).

ويتركز معظم عملها في نيويورك. تعمل المؤسسة على تغيرين يتقاطعان مع بعضهما البعض، وهما: القضاء على العنف، وإنهاء الحبس الجماعي (خصوصًا لغير البيض). وتستند إلى العدالة التصالحيّة في عملها.

59 المصدر السابق

60 Adele Kristen, The Role of Social Movements in Gun Control: An international comparison between South Africa, Brazil and Australia, Centre for Civil Society, 21, September 2004.

61 مقابلة مع أديل كريستن وطاقم البحث 28.5.2021

62 المصدر السابق

تتبنى هذه المؤسسة نهجًا يستند إلى أربعة مبادئ رئيسة:

- الاستجابة للعنف يجب أن ترتكز حول الناجين: وفقًا لهذا المبدأ، تتبنى المؤسسة نهجًا مغايرًا تجاه ضحايا العنف والجريمة (الأحياء منهم أو ذويهم)، حيث تضعهم في لبّ عملها، إذ تقول المؤسسة: إن معظم الضحايا لا يبلغون الشرطة عند الاعتداء عليهم، وترى أنه يجب سؤالهم إذا ما أرادوا إشراك الشرطة أصلًا، خصوصًا أن ٩٠٪ ممن اُستطلعت آراؤهم في بحث داخلي للمؤسسة، يقولون: إنهم لا يتمنون للمعتدين السجن، بل الدخول في برامج تأهيليّة؛ تعيد إشراكهم كعناصر إيجابيّة في المجتمع، وذلك من قناعة براغماتيّة بحتة تستند إلى واقع حياة هذه المجتمعات المُستضعفة، وهي أن السجن يولد عنفًا يعود على المجتمع بشكل أسوأ في نهاية المطاف.

يتمحور هذا التوجه حول تعافي الناجين من العنف، وإغلاق دوائره؛ لإعادة تنشيطهم كأشخاص فاعلين في الحياة اليوميّة والمجتمع، لاسيما أن بعضهم من المرجح أن يعودوا لارتكاب العنف إذا ما تُرك دون متابعة. وهذا بدوره يستند إلى احتياجات الناجين أنفسهم؛ وفقًا لما جمعته المؤسسة في تقرير لها، ولكن أهم ما في الأمر هو ألّا يقوم المعتدين بالاعتداء مرة أخرى على ضحاياهم السابقين، أو إيذاء أي شخص آخر.

- المساءلة وليس العقاب: ينطلق هذا التوجه من أنّ العقاب، أو السجن لا يتطلب إشراك الجاني في عملية إحقاق العدالة، ولا يكترث لكرامته، ولا يطالبه بالعمل على تغيير نفسه أو واقعه. وتتطلب المساءلة خمسة عناصر رئيسة: الاعتراف بمسؤوليّة الفرد عن أفعاله، واعتراف الفرد بتأثير أفعاله على الآخرين، والتعبير عن ندم حقيقي لما اقترفت يداه، واتخاذ الإجراءات لإصلاح الضرر إلى أقصى حد ممكن، وألّا يلحق الفرد ضررًا مماثلاً لأيّ شخص كان مرة أخرى.
- استجابة محورها السلامة/الأمان: يتمحور هذا النهج حول مخاطبة الأشخاص/المجتمعات المتأثرة بالعنف، والإصغاء لآرائهم حول الأمر الذي يجلب لهم الأمان حقًا، وعن معناه وطرق تطبيقه؛ من أجل أخذ المعرفة منهم، وعدم تطبيق معرفة مُسقطة من الأعلى إلى الأسفل، وتدعي المؤسسة هنا، أن العنف تولده أربعة عناصر: الشعور بالخجل، والعُزلة، والانكشاف على العنف، وعدم قدرة المرء على تلبية احتياجاته الاقتصاديّة، وهذه العناصر الأربعة هي بالضبط ما يفعله السجن للسجين، لذا فإن السجن يولد عنفًا وليس العكس، وبناءً على هذا، يجب فهم الجرائم/الجُنح

العنيفة ضمن سياقها، وعلى اختلافاتها (مثلًا: السرقة ليست كالقتل) وألّا يكون العلاج لها هو السجن فقط.

- المساواة العرقيّة تتّبع (Common Justice) في عملها أسلوب التأهيل الميداني للناشطين الذين يعملون مع الناجين من العنف والصدمات، وتركز على أبناء الأقليات، خصوصًا الأميركيين من أصل أفريقي، وتعمل على تدريب مهنيين (مختصين في مجالات الطب النفسي، والعمل الاجتماعي) وخلق بيئة داعمة للناجين. تتضمن الشبكة أشخاصًا يعملون في برامج الشباب، وهي برامج بديلة للسجن، وبرامج التدخل في العنف، والمستشفيات، والمدارس، ووكالات خدمة الضحايا، وغيرها من الأماكن التي يتعامل فيها الناس مع الصدمات التي يمر بها الشباب. كما وتعمل على سرد قصص أشخاص تعرضوا للعنف، أو ارتكبوه، وهذه القصص تركز على العنف، وعلى ما يتبعه من مضاعفات للأشخاص الذين كانوا بدائرته، كمحاولة لتوعية المجتمع حول أضرار العنف والجريمة. [٦٣]

٥. Project NIA

مؤسسة شعبيّة (grassroots) أسستها ناشطة مجتمعيّة ومربية (مريم كابا) عام ٢٠٠٩ في بلدة إلينويس في شيكاغو، ومن ثم انتقلت بعدها بسبعة أعوام إلى نيويورك عام ٢٠١٦,[٦٤] تعمل المؤسسة على مناهضة العنف والجريمة، والنّضال ضد السّجن الجماعي، من خلال تعزيز ممارسات العدالة التصالحيّة والتحويليّة. [٦٥]

٦. Operation ceasefire

عانت مدينة بوسطن الأميركيّة في ثمانينيات القرن الماضي، من معدلات جرائم قتل مرتفعة بين الشباب، وفي الأعوام ١٩٨٧ وحتى ١٩٩٠ تحديدًا، ارتفعت الجريمة بمعدل ثلاثة أضعاف (٢٢ ضحيّة في ١٩٨٧ إلى ٧٣ ضحيّة في ١٩٩٠) ، بينما بلغ ارتفاع معدلات جرائم قتل الشباب ٤٤٪ من ١٩٩١-١٩٩٠. انطلقت Operation ceasefire عام ١٩٩٠، وركزت مجهودها في مناهضة جرائم القتل بين الشباب. المبادرة كانت تطوعيّة، وحصلت على تمويل ودعم من الوكالة الحكوميّة National Institute of Justice، وضمت نشطاء اجتماعيين، وممثلين عن الشرطة، وأخصائيين في علم التربية، وأخصائيين آخرين من الطواقم المهنيّة المتنوعة، كما كرست المبادرة مجموعة بحثيّة عملت على رصد احتياجات المواطنين في

63 Common Justice, Our Work, https://www.commonjustice.org
64 Project NIA, About Us https://project-nia.org/mission-history
65 المصدر السابق

المنطقة، وفق استراتيجيات المؤسسة؛ لمحاربة العنف والجريمة بناء على نتائج المسوح.

طبق المشروع نهجًا مختلفًا ركز على الردع المباشر بدلاً من الأساليب التقليديّة. فبدأت المجموعة بتحديد العصابات الأكثر عرضة للعنف المرتبط بالسلاح. بعدها تواصلت بشكل مباشر مع أعضائها وقامت بلقاءات وجاهيّة معهم. واستخدم المشروع سلطات إنفاذ القانون، كالشرطة وضباط السلوك، بشكل استراتيجي ومحدد لخلق رادع قوي ولمقاضاة الجُناة[٦٦]. واستعان بأقارب أفراد العصابات، وقادة المجتمع، ومقدمي الخدمات، ليتواصلوا بشكل مباشر مع أفراد العصابات؛ لإيصال رسالة أخلاقيّة ضد العنف، وتقديم المساعدة لمن هم على استعداد لقبولها، ويرغبون بالخروج من دائرة العنف.[٦٧]

بعد سنتين من بداية العمل انخفضت جرائم قتل الشباب لتبلغ ١٧ حالة في ١٩٩٧، ما يعادل ثلث معدل حالات القتل التي سادت بين الأعوام ١٩٩١ و١٩٩٥. وانخفضت الاتصالات المُبلغة عن حالات إطلاق النار بنسبة ٣٢٪، وانخفضت حالات إطلاق النار بنسبة ٢٥٪.[٦٨]

بسبب نجاح المبادرة، تأسس نموذج المبادرة تحت إطار استراتيجيّة مكافحة العنف Group Violence Reduction Strategy (GVRS). وطُبقت استراتيجيّة مكافحة العنف هذه في مناطق أخرى لاحقًا، وادّعت المجموعة أنّ النتائج المباشرة لعملها تكمن في انخفاض جرائم القتل في شيكاغو من ٢٠٠١ وحتى ٢٠١٠ بمعدل ٣٧٪ في، وانخفاض ب ـ٣٠٪ في معدل النكوص (recidivism) لدى مجموعات المستهدفة في البحث[٦٩]. وانخفاض بـ ٣٤٪ بمعدل جرائم القتل في إنديانا بين العامين ٢٠٠٠ و٢٠٠٢. وانخفاض بـ ٧٠٪ في جرائم القتل بين الرجال السود في الفترة ذاتها[٧٠]. أما في لولس ماساتشوستس عام ٢٠٠٢، فقد انخفضت جرائم السلاح بـ ٤٤٪[٧١]. وفي ستوكون كاليفورنيا عام ٢٠٠٢، انخفضت معدلات القتل الناتجة عن إطلاق النار بـ ٤٢٪[٧٢] وفي سينسيناتي أوهايو بين الأعوام ٢٠٠٦ وحتى ٢٠١٠، انخفضت جرائم القتل على يد المنظمات الإجراميّة بمعدل ٤١٪، وانخفض العنف

66 U.S. Department of Justice Office of Justice Programs, Reduction Gun Violence- The Boston Gun Protect's Operation Ceasefire, September 2001 https://www.ojp.gov/pdffiles1/nij/188741.pdf

67 المصدر السابق

68 المصدر السابق

69 The Bridgespan Group, Case Study: Boston, https://www.bridgespan.org/bridgespan/Images/articles/needle-moving-community-collaboratives/profiles/community-collaboratives-case-study-boston.pdf

70 المصدر السابق

71 المصدر السابق

72 المصدر السابق

المسلح غير المتسبب بالقتل بنسبة ٢٢٪[٧٣].

في عام ٢٠٠٠ أوقفت المبادرة عملها، وكان أحد أسباب تفكيك المبادرة أنها كانت مكونة من مجموعات ذات أهداف مختلفة، أرادت كل منها أن تجني ثمار نجاح المبادرة وحدها، إضافة لشحّ موارد العمل. ومنذ تفكيكها لوحظ ارتفاع جديد في معدلات الجريمة، لاسيما بين الشباب. تم إعادة العمل بموجب أسس المبادرة عام ٢٠٠٦ مع توظيف مفتش جديد في شرطة بوسطن. [٧٤]

من غير الواضح كيف ربطت المبادرة عملها بانخفاض العنف والجريمة المفصل أعلاه، وقد تكون هناك أسباب مختلفة لا تتعلق بعملها، ساهمت في هذا الانخفاض، ولكن، حتى لو افترضنا أن المبادرة حقّقت نجاحًا نقطيًا/مرحليًا في انخفاض العنف والجريمة في تلك السنوات، تبقى هناك بعض الأسئلة المُلحة حول هذه النتائج؛ كيف تأثرت المجتمعات المهمشة بنتائج المبادرة؟ وهل استمرت دالة الانخفاض أم تصاعدت مرة أخرى؟

٧. Binning Knives Saves Lives

تعرّف السلطات البريطانيّة (في تقرير لبلدية لندن صادر عام ٢٠١٧)[٧٥] «جرائم السكاكين» التي شهدت ارتفاعًا متفاوتًا في العاصمة البريطانيّة منذ ٢٠٠٨، فقد شهدت انخفاضًا ومن ثم ارتفاعًا حادًا في العام ٢٠١٦: أنها جميع الجرائم التي تُستخدم فيها آلة حادة إمّا للقتل، أو السرقة، أو الاغتصاب، أو التهديد، أو الاعتداء؛ بغرض التسبب بأذى، ومعظم هذه الجرائم مرتبطة بعنف الشوارع أو السرقة. كما أن أكثر من نصف جرائم القتل في لندن (عام ٢٠١٦-٢٠١٧) ارتُكبت بآلات حادة. [٧٦]

بدأ تحرك Binning Knives Saves Lives أيار ٢٠١٩، كمبادرة قام بها أحد الناشطين من شرقي لندن قبل أن تتحول لاحقًا لحراك، ومن ثم لجمعية تهدف لمناهضة جرائم السكاكين. وجاءت المبادرة وسط انتشار ظاهرة لمبادرات فرديّة أخرى قام بها عدد من أبناء الأقليات (من ذوي البشرة السمراء خاصة) أو سكان الأحياء الفقيرة في لندن وفي أنحاء بريطانيا بشكلٍ عام، حيث قامت هذه المبادرات بجمع الأسلحة البيضاء من الشباب بأنفسهم، وتسليمها للشرطة دون الإفصاح عن هويّة الشباب لعدم توريطهم مع الشرطة،

73 المصدر السابق

74 المصدر السابق

75 Mayor of London, The London Knife Crime Strategy, June 2017 https://docs.google.com/document/d/1tTixYqyzKP6SYqyrDjS2eWfC2MKGHj8jVzHxbciCOO4/edit

76 المصدر السابق

ولإبعادهم عن المواقف التي قد تضطرهم لاستخدام هذه الأسلحة.[٧٧]

تعمل الجمعية بطرق متنوعة وواسعة لمناهضة الظاهرة، منها:

- فريق من المتطوعين يواظب بشكل أسبوعي على زيارة الأماكن المكتظة، حاملًا ما تُطلق عليه الجمعية اسم «صندوق قمامة السكاكين»، لجمع السكاكين من الشباب.
- تثقيف الأهالي حول كيفية الحفاظ على أمان أسرهم وتوعيتهم عن مخاطر جرائم السكاكين، والطرق الأفضل لحماية أنفسهم منها.
- التوجه لقادة محليين وشخصيات اعتباريّة، للمساهمة في حملات مضادة للعنف لاسيما جرائم السكاكين.
- يتوجه المتطوعون للشباب في الشارع، ويرافقونهم للتسجيل في «نشاطات إيجابيّة» كتشكيل فرق كرة القدم، وتشكيل الورش الموسيقيّة لإخراجهم من الشارع، وإشعارهم بانتمائهم لشيء ما، وأنهم ذوو قيمة.
- توعية الشباب بمخاطر جرائم السكاكين.
- التشبيك مع مجموعات أخرى ناشطة في محاربة جرائم السكاكين.

وفقًا لما تدّعيه BKSL، فإن منطقة (والثام فوريست) في لندن والتي ينشط بها هذا النوع من الجرائم، والتي كانت تعد ثاني أكثر منطقة تعاني من جرائم السكاكين في المدينة. وبعد إطلاق الجمعية بستة أشهر فقط، انخفضت جرائم السكاكين فيها بنسبة ٣٤٪. ونجح فريق المتطوعين بجمع أكثر من ١١١٧ سلاحًا أبيضًا من الشباب.[٧٨]

77 ولإبعادهم عن المواقف التي قد تضطرهم لاستخدام هذه الأسلحة.

78 Binning Knives Saves Lives https://binningknivessaveslives.com

النماذج المختارة

بعد فحص عشرة نماذج لمكافحة العنف والجريمة حول العالم، ذكر بعضها سابقًا؛ اخترنا ثلاثة تجارب رأينا أنها الأكثر ملاءمة لسياق الفلسطينيين في الداخل، من حيث الآليات، والموارد، والمحدوديات. تمحورت جميع الاستراتيجيات حول أمور وخطط عمل شكلت عوامل أساسيّة في إنجاح نماذج عملها، كتحديد الأفراد والمجموعات والمجتمعات الأكثر عرضة للخطر من العنف والجريمة، وتوظيف أشخاص موثوق بهم، منهم عاملين في مجال التوعيّة المجتمعيّة، حتى يشترك هؤلاء الأفراد مع المجتمع بطريقة إيجابيّة وموثوقة، إضافةً إلى تقديم خدمات دعم بشكل مستمر، وتوفير فرص للأفراد الأكثر عرضة للخطر.

من نافلة القول إن تقييمنا لـ "نجاح» التجربة يعتمد بشكل أساسي على الآليات التي تتبعها، وعلى شريحة الهدف التي تستهدفها، ولكننا نعي جيدًا أنه ما من طريقة مُثلى لقياس أثر أي تجربة أهليّة كانت في انخفاض معدلات الجريمة في مكان ما، فقد لا يحيلنا هكذا انخفاض إلى نجاح التجربة المذكورة ضرورةً، إذ توجد عوامل شتى تؤثر في هذه النتائج، وليس من السهل حصرها بصورةٍ كليّة، وهذا ما سيظهر فيما سنسرده لاحقًا.

«جيش جدعون» Gideon's Arm

تعرّف مجموعة Gideon's Army نفسها بأنها منظمة شعبيّة نبعت من آلام الأهالي وحاجاتهم للتخلص من آفة الجريمة والعنف. وتتكون في، معظمها، من ناشطين ذوي بشرة سمراء، ينظرون إلى البعد الهيكليّ لهذه الآفة التي يعاني منها المجتمع الأسود في الولايات المتحدة، إذ يرونها تتأصّل في تاريخ العبوديّة، والقمع الممنهج منذ نشوء الدولة الاستعماريّة التي اعتمد تأسيسها على خطف الأفريقيين واستعبادهم؛ لجني الأرباح من بيع واستغلال أجسادهم. وهو نهج استمر في سياسات الفصل العنصريّ والتفرقة العرقيّة، والعنف السلطويّ الممنهج ضد السود؛ في ترابط مباشر وسببي، مع السياسات الاستعماريّة والفوقيّة العرقيّة البيضاء الراسخة في الدّولة ومؤسساتها.[٧٩] ترى المنظمة أن العنف السلطويّ الممنهج يتمثل بمعدلات سجن مرتفعة لغير البيض، وتفرقة عرقيّة على جميع المستويات، وسياسات إفقار يندرج الاستطباق (gentrification) في داخلها.[٨٠]

79 Gideon's Army, Driving While Black: A Report on Racial Profiling in Metro Nashville Police Department Traffic Stops, October 25, 2016 https://drivingwhileblacknashville.files.wordpress.com/10/2016/driving-while-black-gideons-army.pdf

80 المصدر السابق

ترى Gideon's Army أن مهمتها الأساسيّة هي القضاء على معاناة المجتمع الأسود في تينيسي مع السجن. على الرغم من أن ولاية تينيسي الأميركيّة، غالبًا، ما تُستثنى أو تُستبعد من الحوار الوطنيّ حول السجن التعسفيّ/الجماعيّ (mass incarceration)، إلا أن سكانها يعانون من معدلات أسِر عالية على مستوى البلاد؛ كما أنّها تُعد من الولايات الأربعة عشر اللاتي سجلن ارتفاعًا قياسيًا في معدلات الحبس منذ عام ٢٠١٣[٨١]. وفي حين أن الولايات الجنوبيّة تعاني من أعلى معدلات السجن، إلا أن تينيسي تحظى بحصة الأسد منها مقارنة مع الولايات المجاورة لها. ناهيك عن أن ناشفيل، عاصمة ولاية تينيسي، موطن شركة السجون الخاصة «سي سي إيه» Corrections Corporation of America (CCA))، والتي تضم منشآتها ربع تعداد السجناء في تينيسي.[٨٢] يمثل السجناء من أصحاب البشرة الملونة، أي السود واللاتينيين والشرق آسيويين، ٤٩٪ من مجمل تعداد السجون الفدراليّة في الولايات المتحدة، وتشكل نسبة السود ٣٨,٧٪ من هذه النسبة. وفي عام ٢٠١٤ بلغت نسبة السجناء الأميركيين السود ٥,١ أضعاف معدل نظرائهم من البيض. ومن بين ١,٦ مليون شخص يقضي عقوبةً بالسجن تزيد عن عام، فإن ٦٠٪ منهم من السود واللاتينيين.

على مدار العقود الماضية منذ أن بدأت سياسة الحبس الجماعي في عهد رونالد ريغان، أصبحت نسبة السود في السجون الأميركيّة، تشكل قضيّة رأي عام كُبرى على المستويين الوطني والعالمي، إذ لا تتناسب هذه النسبة التي تبلغ اليوم نحو ٣٧٪ من مجمل سجناء البلاد مع نسبة السود من تعداد سكان البلاد التي تقف عند ١٣٪ فقط، ناهيك عن أن واحد من كلّ ثلاثة رجال سود يتعرض للسجن مرة واحدة في حياته على الأقل.[٨٣] وأما على مستوى تينيسي، فيتعرض المواطنون السود للسجن بـ ٣,٧ ضعف معدل حبس التنيسيين البيض.[٨٤]

وتعاني مدينة ناشفيل من كونها إحدى المناطق الأكثر تضررًا من العنف بين الشباب، إذ لا تزيد أعمار ٥٥٪ ممن نفذوا جرائم القتل في ناشفيل عام ٢٠١٥، عن الـ ٢٥ عامًا، بينما شكلت الفئة العمريّة ذاتها ٥٠٪ من ضحايا هذه الجرائم من العام نفسه[٨٥]. تعيش الأقلية

81 المصدر السابق
82 المصدر السابق
83 المصدر السابق
84 المصدر السابق
85 Gideon's Army, The Problem, https://gideonsarmyunited.org/the-problem/#

السوداء في المدينة أوضاعًا صعبةً للغاية، إذ يعاني ربع الأطفال السود في ناشفيل من الفقر، إضافةً إلى أن الطلاب السود يشكلون ٢٥٪ من مجمل تعداد الطلاب في ناشفيل، ولكنهم يمثلون ٦٨٪ من معدلات الطرد من المدارس و٥٨٪ من حالات العقاب بتعليق الدوام المدرسي (Suspension). تشير الإحصائيات الأخيرة أن منطقة الرمز البريدي ٣٧٢٠٨ في ناشفيل تعد الأكثر عنفًا في المدينة، كما أنها سجلت أعلى نسب سجن على مستوى الولايات المتحدة. [٨٦]

جرت عدّة برامج إصلاحيّة في ناشفيل، وشهدت المدينة تدخلًا من قبل جهاز الشرطة، ومؤسسات الدولة الأخرى؛ للسيطرة على الجريمة، وتحديدًا تلك المتعلقة بالمخدرات والإتجار بها. من بين هذه البرامج، برزت «حملة شوارع آمنة» Operation Safer Streets التي انطلقت عام ٢٠٠٥ لردع الجريمة المنظمة، والاستجابة لقضيّة سلامة الأحياء السكنيّة. طلبت هذه الحملة من قادة مخافر الشرطة متابعة بيانات الجريمة ورصدها ومطالب المواطنين، ليكثفوا على إثرها تواجد عناصرهم في تلك المناطق ليالي الجمعة والسبت.[٨٧] ورغم تصويرها كمبادرة لمساندة الأهالي، فقد اتضح لاحقًا أنّها عملت على مراقبة وضبط تحركات أبناء الأقليات الإثنيّة والفقيرة في تمييز عنصري واضح اتبعته كآليّة في حربها على المخدرات، مما خلّف آثارًا غير مناسبة على التجمعات السكانيّة ذات الدخل المنخفض.[٨٨] واعتبرتها بعض الأبحاث مبادرة لتجريم أبناء الأقليات[٨٩]، فعلى الرغم من أن نسبة السكان البيض في ناشفيل تراوح الـ ٧٠٪ من مجمل السكان، إلا أن الشرطة ركزت ٦٠٪ من عملها في حملة «شوارع آمنة» في مناطق تسكنها أعراق ليست بيضاء.[٩٠] ناهيك عمّا لعملها من وطأة خاصة على ثلاث مناطق، يشكل السود الغالبيّة العظمى من سكّانها، وعلى منطقة أخرى يقطنها المهاجرون[٩١]. على عكس الهدف المُعلن الذي أُطلقت الحملة من أجله، وهو محاربة الجريمة المنظمة، والاتجار بالمخدرات، اقتصر معظم عمل الشُّرطة على إنفاذ القانون في مخالفات السير، وضبط الأشخاص

86 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات Gideon's Army، 2021 تموز يوليو 23 -ب.

87 Police Department, Featured Metro Services, Metropolitan Government of Nashville & Davidson County https://www.nashville.gov/Police-Department/Safety-Information/Operation-Safer-Streets.aspx

88 Gideon's Army, Driving While Black: A Report on Racial Profiling in Metro Nashville Police Department Traffic Stops, October 25, 2016 16 https://drivingwhileblacknashville.files.wordpress.com/10/2016/driving-while-black-gideons-army.pdf

89 Gonzalez, T. (2016). On "Operation Safer Streets: A divide between Nashville Police and lack Lives Matter." http://nashvillepublicradio.org/post/operation-safer-streetsdivide-between-nashville-police-and-black-lives-matter#stream/0

90 Michael Zoorob, OpenGov Voices: Nashville's police data reveals racial burden, Sulight Foundation https://sunlightfoundation.com/16/09/2016/opengov-voices-nashvilles-police-data-reveals-racial-burden/

91 المصدر السابق

الذين يحوزون المخدرات الخفيفة بكميات قليلة، وخطوات أخرى تبدو كأنها تستهدف المجتمعات الفقيرة أساسًا.[٩٢]

تأسست مجموعة Gideon's Army عام ٢٠١٠ بوصفها «جيشًا شعبيًا للأطفال»، على يد مُدرّسة سابقة تُدعى رشيدات فيتوغا، والتي أصبحت ناشطة مجتمعيّة ضد العنف والجريمة في أعقاب مقتل أحد طلابها السابقين، والذي أخبرها ذات مرة أنه لن يعيش ليرى نفسه يبلغ الـ ١٨ عامًا من عمره؛ نتيجةَ تفشي العنف والجريمة في مجتمعه. منذ ذلك الحين، استخدمت فيتوغا ومجموعتها استراتيجيات متعددة لكسر دوامة العنف والجريمة والسجن لعدد هائل من الشباب السود على المستوى الفردي. لاسيما في منطقة شمالي ناشفيل، حيث يعيش مجتمع يعاني من إحدى أعلى معدلات السجن في الولايات المتحدة.

سجّلت الحركة نفسها مؤسسة غير ربحيّة في الولايات المتحدة، وتضم تسعة عشر موظفًا وموظفةً، جميعهم (ما عدا المديرة التنفيذيّة) بالأصل من ناشفيل، و٩٠٪ منهم من سكان الرمز البريدي ٣٧٢٠٨، وهم من المتضررين من العنف والجريمة في تلك المنطقة بشكل مباشر. فمثلًا تضم المؤسسة الشاب هامبينو جودبويو، هو مسجون سابق أمضى خمسة عشر عامًا من حياته في السجن، كجزء من مشروع «معترضو العنف» Violence Interrupters. كما وتضم مسجونًا سابقًا كان يقضي حكمًا بالسجن المؤبد، ولكنه خرج بعد عشرين عامًا، ويقود اليوم مشروع إعادة إدماج السجناء المحررين في المجتمع re-entry، الخاص بالمؤسسة[٩٣]. مثل هذين الناشطين اللذين نجحا بالخروج من عالم الجريمة وتحسين حياتهما، يقدمان نموذجًا لكيف يستطيع برنامج إعادة التأهيل الخاص بالمؤسسة في تغيير المجرمين السابقين، ودمجهم في عمليّة التغيير المجتمعيّ.[٩٤] ويظهر ذلك، أيضًا، في تقييم منتسبي المؤسسة لأنفسهم، إذ يرون أنفسهم وكلاء تغيير كما قال هامبينو جودبوي في مقابلة أجريناها معه «أرى أن من مسؤوليتي كرجل أسود في الولايات المتحدة أن أدفع مجتمعي نحو الأمام».[٩٥]

92 Gideon's Army, Driving While Black: A Report on Racial Profiling in Metro Nashville Police Department Traffic Stops, October 25, 2016 https://drivingwhileblacknashville.files.wordpress.com/10/2016/driving-while-black-gideons-army.pdf, 67-69

93 ب- 23 تموز يوليو 2021، Gideon's Army مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات

94 المصدر السابق

95 ب- 23 تموز يوليو 2021، Violence Interrupters Gideon's Army - مقابلة مع هامبينو جودبوي أحد المسؤولين عن مشروع

تتبع المؤسسة اللامركزيّة واللا هرميّة في عملها؛ وعن ذلك تقول المديرة التنفيذية لمشاريع Gideon's Army، تي ويلسون «كل شخص في المؤسسة هو المدير التنفيذيّ لمشروعه والمؤسسة... فنرى أن كل شخص يعمل في مجال خبرته... فهامبينو لديه الصلاحيّة التامة في بناء مشروعه وتوجيهه لأن لديه الخبرة الأكبر في التعامل مع المسائل المحيطة بالمشروع، كونه يعيش في المنطقة ويعرف احتياجات سكانها، فأنا مثلًا، لا أستطيع أن أخبره بما عليه فعله بالشارع لأني لست من الشارع، فلديه معرفة أهم من معرفتي تجاه المنطقة وأهلها، لأنني لم أحظى بالتجارب ذاتها. كذلك الأمر مع مشروع اليافعين فلإندماريو الصلاحيّة التامة في بناء مشروعه وتحديد برنامجه لأنه الأكثر معرفة بحاجة الشباب حيث شغل منصب إدارة مدرسة ثانويّة سابقًا، وهو الأكثر درايةً منّا بما يحدث في المدارس ولديه تواصل معها. أي أننا نمنح المسؤولين عن المشاريع الموارد والقوة لإدارة المشاريع وفقًا لما يرونه ملائمًا».[٩٦]

إضافة إلى ذلك، أشارت ويلسون إلى أن القرارات في المؤسسة تُتخذ ديمقراطيًا، حيث تحرص الإدارة والمديرة على إسماع صوت كل فرد فيها. وتقول إن هذه الهيكليّة عززت الشعور بالتساوي والمساواة بين أفراد المؤسسة، وذلك بدوره ساهم في بناء الثقة مع المجتمع، ناهيك عن أن وجود أشخاص في المؤسسة ناجين من عالم الجريمة، نجحوا في تغيير حيواتهم الفرديّة يساعد في بناء ثقة أكبر مع المجتمع، فهؤلاء خاضوا تجارب مشابهة لأبناء وبنات مجتمعهم، ولم يأتوا مع نظريات بعيدة عن الواقع المُعاش، كما لم يطبّقوا في عملهم أجندات خارجيّة.[٩٧]

التمويل

وفقًا للمقابلة مع ويلسون، في العقد الأول لعمل الحراك، لم تحصل المؤسسة على أي تمويل يُذكر، وكانت رشيدات فيتوغا تموّل المشاريع على نفقتها الخاصّة[٩٨]. ومنذ العام ٢٠٢٠، اتخذت منظمة Gideon's Army خطوات جدية لمساعدة السكان في المنطقة، اشتملت على إطلاق حملات للتمويل الجماعيّ والمجتمعيّ؛ لتزويد العائلات الفقيرة بأدنى المصاريف التي توفر لهم أساسيات الحياة، وبالتالي تقليل نسبة العنف والجريمة

96 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات Gideon's Army، 2021 تموز يوليو 23 -ب.
97 المصدر السابق
98 المصدر السابق

في المنطقة.[٩٩] مؤخرًا، أنشأت بلدية ناشفيل مشروع «العنف المجتمعي» لتمويل مشاريع مثل Gideon›s Army للقيام بمساهمات لمنع العنف والجريمة في المجتمع. وعن هذه الخطوة تقول ويلسون إنها أولى التدابير المنهجيّة التي تتخذها البلدية لحل مشاكل العنف في المجتمع.[١٠٠]

مبادئ العمل

تعتمد المجموعة في عملها على نظريّة العدالة التصالحيّة، وتقول ويلسون إن ذلك ينبع من رفضهم معاقبة المنخرطين بالجريمة لأن هؤلاء أصلًا ينتمون إلى مُجتمع «مُعاقب» بأكمله مما يولد العنف والجريمة، إذ تشير إلى أن المجتمع الأسود الأميركي «يُعاقب عندما لا تُوفر له مساكن بأسعار معقولة، ويُعاقب بأساليب إنفاذ القانون الشرسة والعنصريّة، ويُعاقب بالفقر، ومستويات التعليم المتدنيّة، والتفكك الأسري وغيرها. في مجتمعنا أطفال شهدوا مقتل آبائهم وأشقائهم في الشارع؛ في مجتمعنا صدمات ومشاكل نفسيّة عديدة أخرى، ومشاكل مع إدمان المخدرات. كل ذلك عقاب. هذه المنظومة التي نعيش تحت سيطرتها هي العقاب»[١٠١]. انطلاقًا من نمط التفكير هذا، ترى المؤسسة أن المجتمع ليس بحاجة لعقاب إضافي للمنخرطين في عالم الجريمة، فذلك «لا يحل المشكلة» وفقًا لما تراه ويلسون، وعليه ترى Gideon›s Army دورها في استبدال المنظومة العقابيّة «بالحب وإعادة استيعاب الجُناة في المجتمع»[١٠٢]. وتتعامل المؤسسة مع العنف على أنه مشكلة صحة عامة، تنتشر بشكل أساسي بسبب حاجة أفراد المجتمع إلى الثأر عند تعرضهم أو تعرض أحد أحبائهم للاعتداء، وهنا يأتي دور المؤسسة في علاج هذه المشاكل قبل تفاقمها.

99 Gideon's Army, GidTV with Jamel Campbell-Gooch, June 2021 ,25, https://www.facebook.com/GideonsArmyUnited/videos/559693078366434

100 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات Gideon's Army، 23 تمّوز يوليو 2021 -ب

101 المصدر السابق

102 المصدر السابق

آليات عمل المؤسسة

تصب المؤسسة طاقاتها بالاشتباك المباشر مع أكثر الشرائح تضررًا من الآفة عبر مسارات مختلفة، وهي:

- تكوين حلقات دعم للطلاب ومسارات تقوية للشخصيّة.
- العمل على ردع الطلاب من التسرب/الطرد من المدرسة لقطع المسار الذي يمر فيه الكثيرون ممن يتوقفون عن التردد على المدرسة إلى أن يصلوا السجن المعروف باسم «أنبوب المدرسة إلى السجن».
- العمل مع العائلات على تعزيز الثقة المجتمعيّة، من خلال جلسات للتعافي المجتمعيّ.
- الإصغاء لاحتياجات المجتمع المحليّ، والعمل على التغيير المجتمعيّ والعمل على توفير تلك الاحتياجات.
- تقديم مساعدات نفسيّة للمتضررين من العنف والجريمة.
- تقديم خط دعم وإسعاف أولي نفسي؛ لمنع العنف وردّات الفعل العنيفة.
- مرافقة العائلات المتضررة من العنف.
- برنامج لإعادة استيعاب المنخرطين في الجريمة والسجناء السابقين في المجتمع بصورة صحيّة.

وتيسّر Gideon›s Army هذه الخدمات وغيرها، من خلال مشاريعها المختلفة.

مشاريع مع الطلاب واليافعين

في بعض الأحيان، يتّسم عمل المجموعة بهدوء نسبي، مثل برنامج العدالة التصالحيّة الذي تديره فيتوغا في مدرسة Pearl-Cohn الثانويّة؛ للمساهمة في منع تسرّب طلاب المدارس أو طردهم، وتعطيل ما يُعرف بخط أنبوب المدرسة إلى السجن.[١٠٣]

تستخدم المجموعة في عملها، مع الشباب والأطفال في المدارس وأماكن تواجدهم الأخرى، نموذج العدالة التصالحيّة للمساعدة في تقليل العنف المسلح وجرائم القتل، إذ تدير جلسات للمصالحة والسلام، وأخرى للتعافي المجتمعي. وتتدخل المنظمة في حالات صدور أوامر لطرد بعض الطلاب من المدرسة، وتدير ورش توعويّة؛ لبناء هويّة شخصيّة، ومهارات قياديّة للشباب، كما تقدم برنامجًا لإعادة تأهيل وبناء شخصيّة الشباب، وتقيم مخيمات صيفيّة، ومجموعات دعم نفسي للطلاب وأسرهم، ومنها ما هو مخصص لعلاج الصدمات الناجمة عن أعمال العنف أو الجرائم العنيفة، إذ تهتم Gideon's Army بتقديم المشورة والدعم النفسي للمتضررين من العنف خلال ٢٤ ساعة من وقوع الاعتداء.

مشاريع مجتمعيّة

تقيم المنظمة جلسات استماع مجتمعيّة تطلق عليها اسم «العشاء العائلي»، التي تتألف من سلسلة لقاءات مع سكان الأحياء ذات الأغلبيّة السوداء أو ذات الدخل المنخفض، وتشمل «حلقات للتعافي» يشارك من خلالها السكان الأكثر تهميشًا في المدينة رواياتهم حول السلامة المجتمعيّة، وعنف الشباب، ورفاههم الاجتماعيّ، وصحتهم النفسيّة، ويتحدثون عن العدالة التصالحيّة، وممارسات الشرطة القمعيّة، لاسيما قسم مترو ناشفيل. في أحيان كثيرة، أبدى أبناء هذه الأحياء وبناتها خلال جلسات «العشاء العائلي» فهمًا عميقًا لكيفيّة تفاعل فئات المجتمع مع قسم شرطة مترو ناشفيل، من خلال محادثات ولّدت أسئلة في غاية الأهميّة حول آراء المجتمع المحليّ تجاه الأمن، والضبط المجتمعي، لينشأ عنها مشروع مساءلة للشرطة، ومنظومة العدالة الجنائيّة مكلّفة بتحقيق أهدافٍ متعددة تشمل التعليم والتدريب لأفراد المجتمع، واكتشاف بدائل للعمل الشُّرطي، ومنح القدرة للسكان، لابتكار أشكال جديدة من العدالة التصالحيّة ومراقبة الشرطة في ناشفيل.[١٠٤]

103 Steven Hale, How Gideon's Army Is Making Peace in North Nashville, Nashvile Escene, June 2019 ,27 https://www.nashvillescene.com/news/coverstory/how-gideon-s-army-is-making-peace-in-north-nashville/article_a10d434c-ea5d5-e9f08-9541-cd5f50e26f.html

104 Gideon's Army, Driving While Black: A Report on Racial Profiling in Metro Nashville Police Department Traffic Stops, October ,25 15 ,2016 https://drivingwhileblacknashville.files.wordpress.com/10/2016/driving-while-black-gideons-army.pdf

وفي إطار جهود الحركة لرفع الوعي عند المواطنين والمنتخبين في المدينة، أصدرت «Gideon's Army » تقريرًا عام ٢٠١٦ بعنوان «ماذا يعني أن تكون أسود خلف المقود؟» Driving While Black، والذي أظهر كيف يتعرض السائقون السود للتوقيف والتفتيش بشكل دوري وتعسفي من قبل شرطة ناشفيل في جميع أنحاء المدينة. ودعم التقرير إحصائيًّا بالأدلة والقصص التي ناقشها سكان المدينة في «حلقات التعافي» واجتماعات «عشاء العائلة» على مدار سنوات. إلى أن أدى هذا الحوار إلى تغيير نهج سلطات إنفاذ القانون في المدينة.[١٠٥] فقد أحدث إصدار تقرير «ماذا يعني أن تكون أسود خلف المقود» ضجة كبيرة على المستويين المحلي والقُطريّ، وحثّ مؤسسات أخرى مهنيّة وأكاديميّة، على إصدار أبحاث في الموضوع ذاته. وبسبب التغيير الذي أحدثه هذا التقرير والضجة التي رافقته، وبعد مساعٍ طويلة لـ Gideon›s Army في عرض نتائج التقرير على الجهات الحكوميّة المختلفة ورفع الوعي المستمر[١٠٦]، انخفض عدد حالات التوقيف المروري التي قامت بها عناصر شرطة مترو ناشفيل، من ١٠٥,٦١٦ في ١,١٠,٢٠١٦ حتى ٢٨,٢,٢٠١٧، لتصل ل ٣٩،٠٧٣ حالة بين ١,١٠,٢٠١٨ حتى ٢٨,٢,٢٠١٣[١٠٧].

تتعامل الحركة مع احتياجات الأهالي بجدية، ولهذا فإن دورها لا يقتصر على تقديم المساعدات لهم في الحالات العينيّة المرتبطة بمكافحة العنف والجريمة، ومحاربة أساليب الشُّرطة التعسفيّة، وإنما تعمل على الحدّ من مستويات الفقر، ومساعدة الأهالي للعيش بكرامة، فقد لعبت Gideon's Army دورًا رئيسًا في عمليات التنظيف، وجهود الإغاثة الأخرى في المنطقة في أعقاب إعصار الثالث من آذار/ مارس ٢٠٢٠ الذي أدى إلى نزوح عائلات كثيرة من مناطق شمالي المدينة، لاسيما الفقراء منهم.[١٠٨]

في السنوات الأخيرة ركزت المؤسسة جهودها وتمويلها في منطقة شمالي ناشفيل، وتحديدا في منطقة الرمز البريدي ٣٧٢٠٨، بعدما ذكرت عدة أبحاث أن سكان هذه المنطقة هم الأكثر عرضة للأسِر في الولايات المتحدة.[١٠٩] ووفقًا لما تقوله Gideon's

105 المصدر السابق

106 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات Gideon's Army، 2021 تموز يوليو 23 -ب

107 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات Gideon's Army، 2021 تموز يوليو 23 -ب.

108 Natalie Allison, Dickerson, Senate GOP face pushback over ad attacking Campbell›s support for Gideon›s Army, Tennessean 13, October 2020
https://www.tennessean.com/story/news/politics/13/10/2020/steve-dickerson-senate-gop-under-fire-ad-attacking-gideons-army-heidi-campbell/3644622001/

109 Adam Looney and Nicholas Turner, Work and opportunity beforeand after incarceration, The Brookings Institution, March 2018
https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/03/2018/es_20180314_looneyincarceration_final.pdf

Army، لم تأتِ هذه المعدلات المرتفعة من فراغ، بل بعد عقودٍ من سياسات الإفقار الشرسة والممنهجة، عقب النجاح والنموّ منقطعان النظير اللذين حققهما أهالي المنطقة في الماضي، فقد عدّت هذه المنطقة فيما مضى عاصمةً ثقافيّة وموسيقيّة لكافة المجتمعات السوداء في الولايات المتحدة. وبعد أن كان السود يملكون فيها أكثر من ٦٠٠ عقارًا، باتوا اليوم لا يملكون أكثر من ١٠٠ عقار في المنطقة؛ فخلال خمسينيات القرن الماضي، قررت الحكومة إنشاء أوتوستراد في شارع جيفرسون، وصادرت منازل المواطنين وأراضيهم من أجل هذه الغاية؛ مما أدى إلى إغلاق العديد من المحال التجاريّة، والمساحات المختلفة. وبدأت أوضاع المجتمع المحلي بالتدهور تدريجيًا، ليُصبح من أكثر التجمعات السكنيّة ضعفًا وفقرًا في المدينة. كما تفاقم ضيق حال المجتمع بعدما أُطلقت موجهة استطباق Gentrification شرسة تسببت بارتفاع معدلات الإيجارات، وأدت إلى إخلاء المستأجرين من منازلهم لصالح مستثمرين أو مستأجرين أثرياء.

أدى هذا العنف والفقر المُمنهجان، إلى انحسار فرص العمل لدى أفراد المجتمع الأسود في المنطقة، الأمر الذي أدّى إلى زيادة معدلات الجريمة فيها. كما ازدادت الفجوة الطبقيّة في المنطقة بين السود والبيض الذين تزداد أعدادهم شيئًا فشيئًا نتيجة الاستطباق. ولا يخفى أنّ الآثار السلبيّة للاعتقال والأسِر على عائلات المسجونين شديدة وعميقة، فإضافةً إلى خسارة العديد من الأطفال السود لآبائهم الذين إما تعرضوا للقتل أو السجن، تخسر الأُسر مدخولها الأساسي، أو المكمّل؛ بسبب هذا الفُقدان. وحتى بعد الإفراج عن المسجون، فإنه من الصعب للغاية أن يجد مكان عملٍ، إذ لا تقبل غالبيّة أماكن العمل استقبال السُجناء السابقين؛ مما يوسع دائرة العنف والجريمة إما عن طريق عودة السُجناء السابقين إلى الجريمة مجددًا، أو اضطرار المراهقين للبحث عن لقمة العيش بعد فقدان المُعيل، وترك مدارسهم بحثًا عن العمل، والانخراط في الجريمة، مما يعزز أنبوب المدرسة والسجن.

وكانت آخر المبادرات التي قامت بها مؤسسة Gideon's Army، المبادرة التي قام بها مجموعة من الناشطين تحت مسمى «معترضو العنف» Violence Interrupters، عام ٢٠١٩، والتي تتكون من أفراد ناجين من عالم الجريمة. وهو مشروع استلهمته من منظمة «الشفاء من العنف» Cure Violence في شيكاغو، التي ترى أن العنف مرضٌ معدٍ. يضم

فريق «معترضو العنف» خمسة عاملين.[110] ويقوم أعضاؤه بمهمةٍ محفوفةٍ بالمخاطر، إذ يوفرون عبر هذه المبادرة الدعم المباشر للمتضررين من العنف والجريمة، وينوبون في عملهم هذا عن الشرطة تقريبًا، بصورةٍ شبه يوميّة، يتواجد أعضاء المجموعة في شوارع شمالي ناشفيل في منطقة الرمز البريدي ٣٧٢٠٨ بالذات لساعاتٍ طويلةٍ تُرسّخ وجودهم بين أفراد مجتمعهم، من أجل الحدّ من تصعيد النزاعات، وحالات العنف المحتملة الأخرى، وتقديم دعم مباشر وفوري للناجين بطريقة تقلل من احتماليّة الثأر أو إطلاق النار الانتقاميّ، ويعتمدون في عملهم هذا على آليات الوساطة بين أطراف الصراع. قد يجد أعضاء الفريق أنفسهم في بعض الأحيان، يقفون فعليًا بين أشخاص يتأهبون لإيذاء بعضهم بعضًا، ليقوموا على الفور بتهدئة النفوس وتخفيف وطأة المشكلة لِئلا تتمدد لاقتتال عنيف. وفي أوقات أخرى، يعمل أعضاء الفريق كوحدة استجابة أوليّة؛ لمساعدة العائلات على الاستقرار النفسي في أعقاب الصدمات الناجمة عن العنف[111]. وفي سؤال وجهناه للمديرة التنفيذيّة لمشاريعGideon's Army ، تي ويلسون، عن كيف يحمي العاملون في مجموعة «معترضو العنف» أنفسهم؟ أجابت «هم لا يحملون السلاح، معظمهم أصلًا لا يستطيع حمل السلاح من الناحية القانونيّة لأنهم مُدانون سابقون، ولا يحملون معهم أي شيء للدفاع عن أنفسهم، ولكن عطاءهم وثقتهم في المجتمع هي التي تحميهم»[112]. وكمثال على ذلك قالت ويلسون «قبل بضعة أيام، دخلت مجموعة من خارج ناشفيل إلى أحد أحياء منطقة ٣٧٢٠٨ وبدأ أفرادها بإطلاق الرصاص العشوائي. وعندما سمع هامبينو بذلك، جرى خلف أحدهم وواجهه دون سلاح وطلب منه أن يتوقف عن أفعاله. [113]

يُجري أعضاء فريق «معترضو العنف» حوارات مع المتضررين من العنف، أو مع أولئك الذين يُبدون رغبةً في الهجوم على أشخاص آخرين، ويصغون فيها جيدًا لأوجاع وادعاءات الأفراد، ويحاولون فهم احتياجات الأفراد الذين تنتابهم حالات من الهيجان من أجل تقليل الضرر الواقع عليهم قدر الإمكان.[114] كما يواظب أعضاء الفريق على مرافقة المتضررين وعائلاتهم في الساعات الأولى من وقوع الاعتداء، فهذه اللحظات في غاية الأهميّة

110 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات Gideon's Army، 2021 تموز يوليو 23 -ب.

111 Steven Hale, How Gideon's Army Is Making Peace in North Nashville, Nashvile Escene, June 2019 ,27 https://www.nashvillescene.com/news/coverstory/how-gideon-s-army-is-making-peace-in-north-nashville/article_a10d434c-ea5d5-e9f08-9541-cd5f50e26f.html

112 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات Gideon's Army، 2021 تموز يوليو 23 -ب

113 المصدر السابق

114 Jessica Bliss, Gideon›s Army violence interrupters work to bring peace, Tennessean, October 2020 ,18 https://www.tennessean.com/story/news/politics/19/10/2020/gideons-army-nashville-tennessee-violence-interrupters-work-bring-peace/5908495002/

لمنع الانتقام.[١١٥]

تقول مجموعة Gideon's Army والمبادرات المنبثقة عنها: أنّها تعالج العنف والجريمة بطريقة شموليّة وقريبة من الأهالي، إذ يقول هامبينو جودبوي، أحد المسؤولين عن مشروع «معترضو العنف»: «نحن نقدم لمجتمعنا الحب، فأبناؤه وبناته يفتقدون لكثير من الحب»[١١٦]. كما ويرافق أعضاء المؤسسة العائلات المتضررة، والثكلى، ويقدمون الدعم النفسي لأُسَرِ ضحايا جرائم القتل، ويساعدوهم على التعافي من خلال مرافقة الأهالي أثناء مراسم العزاء، أو التكفل بمصاريف العزاء، وكل ما يتبع العزاء من تكاليف ضيافة وطعام وغيرها، ويواظبون على التردّد على أهل الضحيّة طيلة فترة الحداد، وتقديم جميع المساعدات النفسيّة أو الماديّة، ومرافقتهم في المؤتمرات الصحافيّة والإعلام.[١١٧] تتبنى Gideon's Army مواقف حركة «حياة السود مهمّة» Black Lives Matter تجاه الشرطة وسلطات إنفاذ القانون، إذ تطالب بتفكيك دوائر الشرطة ووقف تمويلها، وضخ الأموال في المشاريع الاجتماعيّة. وهي حملة انضمت إليها المؤسسة بعد اكتسابها زخمًا غير مسبوقٍ في صيف ٢٠٢٠، في أعقاب مقتل المواطن الأسود جورج فلويد خنقًا على يد شرطة مينيا بوليس. وانضمت المؤسسة لتحالف «الميزانيّة الشعبيّة» في ناشفيل، الذي طالب بتحويل الأموال من ميزانية الشرطة إلى برامج تهدف إلى مساعدة المجتمعات المتضررة بصورةٍ فعّالة أكثر من السجن ولمحاربة الفقر.[١١٨]

استطاع أعضاء Gideon›s Army بناء درجة عالية من الثقة مع أفراد المجتمع المحليّ، حتّى أنّ الأهالي كانوا يتواصلون مع خط الطوارئ الخاص بالمؤسسة في آخر إعصار ضرب تنيسي عام ٢٠٢٠، وفقًا لما قالته ويلسون، وهو ما يحصل أيضًا في حالات العنف، إذ يلجأ الكثيرون إلى أعضاء فريق «معترضو العنف»، للتبليغ عن حالات الاعتداء الحاصلة بدلًا من الاتصال بالشرطة. وكأحد الأمثلة التي قدمتها ويلسون عن ذلك، قالت: «جاءنا شخص والدماء تسيل من جسده، بعدما تعرض لاعتداء، ولسرقة هاتفه النقال، وأخبر هامبينو أنه لجأ إلينا لأنه لا يريد الانتقام من المعتدي وزجه في السجن، واعيًا أن ذلك من شأنه أن

115 ب- 23 تمّوز يوليو Gideon's Army، 2021 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات

116 ب- 23 تمّوز يوليو Violence Interrupters Gideon's Army، 2021 مقابلة مع هامبينو جودبوي أحد المسؤولين عن شروع.

117 Steven Hale, How Gideon's Army Is Making Peace in North Nashville, Nashvile Escene, June 2019 ,27 https://www.nashvillescene.com/news/coverstory/how-gideon-s-army-is-making-peace-in-north-nashville/article_a10d434c-ea5d5-e9f08-9541-cd5f50e26f.html

118 Natalie Allison, Dickerson, Senate GOP face pushback over ad attacking Campbell›s support for Gideon›s Army, Tennessean October 2020 ,13
https://www.tennessean.com/story/news/politics/13/10/2020/steve-dickerson-senate-gop-under-fire-ad-attacking-gideons-army-heidi-campbell/3644622001/

يزيد دوامة العنف، ولكنه لا يريد سوى استرجاع هاتفه. فذهب معه هامبينو لمواجهة الشخص السارق، وجلسوا معًا، وتحدّث معهم هامبينو، وهدأ من روعهم، وأعطى الشاب المتضرر ثمن الهاتف المسروق، وهكذا نجح بمنع إراقة الدماء»[119]. وتقول (تي ويلسون) إنّ العنف المبلّغ عنه وحالات الاستنجاد بالمؤسسة، لا تقتصر على عنف الجرائم فقط، وإنما تمتد لتشمل التعنيف الجندري والأسري. [120]

بحسب المعطيات الداخليّة للمؤسسة، فإن عملها الدؤوب، إضافةً إلى عناصر أخرى، كانتشار فيروس كورونا المستجد، والإعصار الذي ضرب المنطقة، ساهمت جميعها في وقف حالات إطلاق النار في ناشفيل لمدة عشرة أشهر متواصلة في العام ٢٠٢٠[121]. وبحسب تقارير الشرطة والبلدية كانت شمالي ناشفيل المنطقة الوحيدة في الولاية التي سجلت انخفاضًا في نسبة العنف بمعدل ٧٪[122]. ومع أنها تولي أهمية بالغة لاستقلالها وحرية عملها فإن Gideon›s Army تواصل عملها في مضمار المناصرة أمام الجهات الحكوميّة المختلفة وما زال لديها أمل في تغيير الشرطة لنظامها.

«وقف إطلاق النار في أوكلاند» Ceasefire Oakland

تُصنف مدينة أوكلاند من المدن العشر الأوائل من حيث ارتفاع معدلات الجريمة والعنف على مستوى الولايات المتحدة منذ أربعة عقود، وأصبحت في عام ٢٠١٢ ثالث أخطر مدينة على مستوى البلاد[123]. وتعاني أوكلاند من نسب فقر مرتفعة للغاية، ومن عنصريّة عرقيّة هيكليّة على جميع مستويات الحياة اليوميّة. وفي هذا الواقع الصعب تتفشى فيه مظاهر العنف والجريمة في المدينة، وتُعد الشريحة العمريّة الأكثر تأثرًا فيها ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٣٥ عامًا، بينما معظم الجُناة في العشرينيات من أعمارهم. في أوكلاند، يترسخ إحساس بانعدام الثقة المؤسسيّة بين الشرائح الأكثر اضطهادًا، كالسود وذوي البشرة السمراء، والأصلانيين، واللاتينيين، والآسيويين. إذ تُعد هذه المجتمعات الأكثر عرضة لحملات اعتقال تعسفيّة من الشرطة، والأكثر تعرضًا للسجن. ناهيك عن أن السياسات المحليّة أنتجت أزمةً تشرد، رافقت ارتفاع أسعار إيجارات الشقق السكنيّة وسط حالة من

119 مقابلة مع تي ويلسون مديرة التنفيذية لعمليات Gideon's Army، 2021 تموز يوليو 23 -ب.

120 المصدر السابق

121 المصدر السابق

122 المصدر السابق

123 David Mohammad, Oakland's Successful Gun Violence Reduction Strategy, National Institute for Criminal Justice Reform (NICJR), January 1 ,2018 https://nicjr.org/wp-content/uploads/02/2018/Oakland's-Successful-Gun-Violence-Reduction-Strategy-NICJR-Jan2018-.pdf

الاستطباق الذي شهدته أوكلاند إلى جانب مناطق أخرى من خليج سان فرانسيسكو، ويُقدر أنّ هذه الأزمة أدّت إلى نزوح عشرات الآلاف من ذوي البشرة السمراء من أحيائهم خلال العقد الماضي، لتستبدلهم شريحة من العاملين في الصناعات التكنولوجيّة والأعمال التجاريّة[١٢٤]. واليوم، أصبحت ٤٠٪ من أحياء أوكلاند ذات الدخل المنخفض معرّضةً لخطر الاستطباق، بينما تعاني ٥٥٪ منها أصلًا من استطباق شرس يؤدي إلى ترحيل متواصل وجماعيّ لسكانها. [١٢٥]

منذ مطلع الألفيّة، ظهرت مبادرات كثيرة لمحاربة الجريمة في المدينة، لكنّها لم تؤدِ إلى انخفاضٍ ملحوظٍ أو مستمرٍ في جرائم السلاح أو العنف بشكل عام.[١٢٦]

في أواخر عام ٢٠١٢ أطلقت المدينة رسميًا استراتيجيّةً للحدّ من العنف، بعد إطلاق حملات توعويّة ومناصرة ضد العنف المسلّح من جهات مختلفة، مثل بعض المجموعات الدينيّة، لاسيما منظمات المجتمع المدني والحراك المحلي OCO- OAKLAND COMMUNITY ORGANIZATION التابعة للمنظمة الأميركيّة PICO – People Improving Communities through Organizing. والتي عملت جميعها بالتعاون مع البلديّة، وجهات إنفاذ القانون، وجهات تُعنى بالاستشارة والعمل الاجتماعيّ. أُطلق على الحملة اسم «وقف إطلاق النار في أوكلاند» Oakland Ceasefire، تيمنًا بمبادرة «وقف إطلاق النار في بوسطن»[١٢٧]. واستُعملت هذه التّسمية في العديد من المناطق الأخرى، بل واستُعملت في مبادرات سابقة في المدينة نفسها، لكنها لم تكن ناجعة كالمبادرة التي انطلقت عام ٢٠١٢. [١٢٨]

تعمل هذه المبادرة بالتنسيق مع مؤسسات ومبادرات مختلفة تحت مظلة البلدية. وتضم عناصر من الشرطة، وعاملين اجتماعيين، ورجال دين، وناشطين، وتهدف لتعزيز الثقة بين المجتمع والشرطة، ولتقليل الممارسات العنصريّة والتعسفيّة لسلطات إنفاذ القانون في تعاملها مع الأقليات من غير البيض، إضافةً إلى الحدّ من العنف المسلّح في المنطقة.

124 Sanjana Karanth, Oakland Is Slowly Solving America's Rising Gun Violence Trend HuffPost, June 2019 4 https://www.huffpost.com/entry/oakland-california-decrease-gun-violence_n_5cf6d690e4b02b1bef0900f4

125 Sanjana Karanth, Oakland Is Slowly Solving America's Rising Gun Violence Trend HuffPost, June 2019 4 https://www.huffpost.com/entry/oakland-california-decrease-gun-violence_n_5cf6d690e4b02b1bef0900f4

126 David Mohammad, Oakland's Successful Gun Violence Reduction Strategy, National Institute for Criminal Justice Reform (NICJR), January 1 ,2018 https://nicjr.org/wp-content/uploads/02/2018/Oakland's-Successful-Gun-Violence-Reduction-Strategy-NICJR-Jan2018-.pdf

127 The City of Oakland Oakland's Ceasefire Strategy, https://www.oaklandca.gov/topics/oaklands-ceasefire-strategy ; David Mohammad, Oakland's Successful Gun Violence Reduction Strategy, National Institute for Criminal Justice Reform (NICJR), January 1 ,2018 https://nicjr.org/wp-content/uploads/02/2018/Oakland's-Successful-Gun-Violence-Reduction-Strategy-NICJR-Jan2018-.pdf

128 David Mohammad, Oakland's Successful Gun Violence Reduction Strategy, National Institute for Criminal Justice Reform (NICJR), January 1 ,2018 https://nicjr.org/wp-content/uploads/02/2018/Oakland's-Successful-Gun-Violence-Reduction-Strategy-NICJR-Jan2018-.pdf

لهذا السبب لم تكرس جهودها لبناء برامج تنمويّة شخصيّة، وإنما توجهت للمجتمع بشكل عام.

آليات عمل المبادرة

أجرى القائمون على المبادرة بحثًا معمقًا حول العنف المسلّح في المنطقة، شمل مسحًا شاملًا لجميع جرائم إطلاق النار في المدينة، وأوكلت مهمة تحليل نتائجه لخبراء وباحثين من مبادرة «شراكة كاليفورنيا من أجل مجتمعات آمنة» (California Partnership for Safe Communities- CPSC)؛ الذين وجدوا في بحثهم الصادر عام ٢٠١٤، أن الأشخاص الأكثر عرضة لخطر المشاركة في أعمال عنف خطيرة لا تتجاوز نسبتهم الـ ٠,١٪ من سكان المدينة، وأن غالبية هؤلاء ضالعين في أعمال عنفٍ مرتبطةٍ بعصاباتٍ أو جماعاتٍ إجراميّة. وبيّنت الدراسة أن الفئة العمريّة الأكثر عرضة للعنف، تضم أولئك الذين تقترب أعمارهم من ٢٨ عامًا، مع العلم أن ١٠٪ فقط من جرائم القتل ارتكبها أشخاص من دون سن الـ ١٨ عامًا.

استنادًا إلى نتائج البحث وأبحاث أخرى في المضمار ذاته، استطاع أعضاء الفريق أن يحددّوا هويّة الأشخاص الأكثر عرضة لخطر العنف المسلّح، سواء أكانوا ضحايا أم جناة. وبناء على ذلك، أُسست شبكة دعم مؤسساتيّة من الشؤون الاجتماعيّة، ومؤسسات مجتمع مدنيّ؛ لتلبي حاجات هذه الشريحة التي تمّ التوجه، لاحقًا، إلى أفرادٍ كُثرٍ فيها، ودعوتهم إلى مجموعات علاجيّة وتثقيفيّة، وجلسات مع رجال دين، ومندوبين عن الشرطة وسلطات إنفاذ القانون، ومندوبين عن الشؤون الاجتماعيّة. حيث تضمَّن ذلك دعوة سكان أوكلاند من الشرائح الأكثر عرضة لخطر العنف، لاسيما الضالعين فيه، لاجتماعات عامة استمعوا فيها إلى أبناء مجتمعهم وبناته، وقادته الدينيين، وعناصر إنفاذ القانون، ومقدمي خدمات اجتماعيّة، حول ضرورة نبذ السلاح.[١٢٩]

واستخدُمت الإحصائيات والدّراسات المختصة بمسح حالة العنف والجريمة في أوكلاند، لإقناع الأفراد الضالعين في أعمال العنف، بواقع المخاطر التي تُحدق بهم في هذا العالم، وتوعيتهم تجاهها. وقدّم أحد أقسام إدارة الخدمات الإنسانيّة بالمدنية، والذي يدعى Oakland Unite أو «فلتتحد أوكلاند»، ويتكوّن من شبكة من المنظمات المجتمعيّة

129 Sanjana Karanth, Oakland Is Slowly Solving America's Rising Gun Violence Trend HuffPost, June 2019 4 https://www.huffpost.com/entry/oakland-california-decrease-gun-violence_n_5cf6d690e4b02b1bef0900f4

التي توفر الموارد للأشخاص الأقل حصانة أمام أعمال العنف، موارد شملت التوجيه المكثف، والتدريب الاقتصاديّ والتعليميّ، ومساعدة ضحايا العنف. وهنا يأتي دور مبادرة Ceasefire Oakland، في الربط بين المجتمع المحليّ وبين قسم Oakland Unite، إذ تعد المصدر الرئيس لإحالات المواطنين لتلقي خدمات الأخيرة، والتي تتعامل مع العنف باعتباره مشكلة صحة عامة.[١٣٠]

وينطوي قسم Oakland Unite تحت مظلة بلدية المدينة التي خصصت ميزانيّة خاصة لبرنامج الحد من العنف المسلّح، مع تقديم خدمات عدة منها التوجيه المكثف، والتدريب الاقتصاديّ والتربويّ، ومساعدة ضحايا العنف بشكل عام، وتوفير خدمات دعم فوريّ، وخلق فرص حقيقيّة باستطاعتها أن تغير حياتهم.

وأجرت الشرطة إصلاحات في عملها، حيث ارتكز العمل الشُّرطي على محاربة العنف المسلّح تحديدًا، لتُنشئ الشرطة قسمًا يختص بمهمة إيقاف جرائم إطلاق النار، وظيفته متابعة ورصد جميع هذه الجرائم ووضع ملخص استخباراتي يومي لمساعدة «وحدات التحقيق الخاصة» التابعة للقسم، والتي أُنشئت على أساس المعطيات عن أشكال الجريمة المنظمة في أوكلاند وديناميكيتها، بناءً على نتائج المسح الذي أجرته مبادرة Ceasefire Oakland. واشتملت على إصلاحاتٍ داخل قسم الشرطة تجسدت بتوظيف استراتيجيات العدالة الإجرائيّة، وهو نوع من العمل الشُّرطي ينص على أن تطبيق القانون يجب أن يعامل السكان بكرامة واحترام.

يقول مسؤولو إنفاذ القانون الذين يشكلون جزءًا من مبادرة Ceasefire Oakland إنهم يعملون على التواصل بانتظام مع شركاء وقادة من المجتمع؛ لمواكبة أنماط العنف المتغيرة، وضمان مساءلة أفراد الشرطة في حالات اعتدائهم على المدنيين بغير حق.[١٣١]

في أعقاب هبّة «حياة السود مهمة» Black Lives Matter عام ٢٠١٤ في فرغيسون، والتي أشعلت الشارع في بالتيمور وباقي أنحاء البلاد، بعد مقتل العديد من الأشخاص السود عاميّ ٢٠١٤ و٢٠١٥ على أيدي عناصر الشرطة، طرأ ارتفاع حاد في مستوى الجريمة لاسيما في حالات القتل في أوكلاند وغيرها من المناطق. إذ أدى تصرف الشرطة

130 Sanjana Karanth, Oakland Is Slowly Solving America's Rising Gun Violence Trend HuffPost, June 2019 4 https://www.huffpost.com/entry/oakland-california-decrease-gun-violence_n_5cf6d690e4b02b1bef0900f4

131 المصدر السابق

الأميركيّة في هذه الأحداث إلى تقليل الثقة بين السود ومؤسسة الشرطة.[١٣٢]

في عام ٢٠١٥، أعلن رئيس بلدية أوكلاند ليبي شاف، عن أول خطة «توجيه إداريّ» لأوكلاند لبناء الهيكل الضروريّ لإدارة استراتيجية مبادرة Ceasefire Oakland. رغم أن الخطة بدت شكليّة في البداية إلا أنها تحولت فيما بعد إلى طريقة لتحويل موارد الشرطة لخدمات تتماشى مع نهج مبادرة Ceasefire Oakland. وتضمنت الخطة أيضًا، برامج تدريبيّة في العدالة الإجرائيّة، ومبادرات أخرى من شأنها توطيد العلاقة والثقة بين المجتمع والشرطة.[١٣٣]

منذ بداية التحرك قامت البلدية بتعيين مسؤول ذي خبرة لتولي منصب تركيز المبادرة، وترأس استراتيجيات العمل.[١٣٤] ومع أن المبادرة شهدت تغييرات منذ انطلاقها عام ٢٠١٢، إلا أن الثابت فيها، هو اعتمادها على استراتيجياتٍ أربعٍ للحد من العنف:

- تحديد هويّة المجموعات والأفراد الأكثر عرضة لخطر التورط/الضلوع بجرائم إطلاق نار، بناءً على جمع وتحديد البيانات.
- التواصل المبني على الاحترام مع هذه الشريحة من الأفراد والمجموعات المعرضة للخطر.
- إتاحة الخدمات والدعم والفرص؛ لتلبية احتياجات المجموعات المتضررة وبناء خطط عمل لتقوية الأشخاص والمجموعات الأكثر عرضة للعنف. قد تكون هذه الخدمات وطرق الدعم أكثر فاعليّة عندما يتم تقديمها على يد أفراد من المجتمع ذاته والذين لديهم تجارب معيشيّة مماثلة لشريحة الهدف، وحصلوا على احترام وثقة من المجتمع.
- تركيز العمل الشُّرطي، حيث يستهدف الأفراد الأكثر انخراطًا في الجريمة لاسيما جرائم العنف المسلّح؛ بهدف منعه.

132 المصدر السابق
133 المصدر السابق
134 David Mohammad, Oakland's Successful Gun Violence Reduction Strategy, National Institute for Criminal Justice Reform (NICJR), January 1 ,2018 https://nicjr.org/wp-content/uploads/02/2018/Oakland's-Successful-Gun-Violence-Reduction-Strategy-NICJR-Jan2018-.pdf

تدّعي المبادرة أنها نجحت طوال فترة عملها من ٢٠١٢ وحتى ٢٠١٧، بتقليل نسبة الجرائم المسلّحة بالمنطقة لثاني أقل نسبة تدني منذ ٤٧ عامًا.[١٣٥] وشهدت هذه الأعوام الستة هبوطًا حادًا في مستويات الجريمة والعنف، لاسيما في حالات القتل التي انخفضت بـ ٣١,٥٪[١٣٦]. ووصل عدد القتلى جراء العنف عام ٢٠١٨، لـ ٦٨ حالة فقط، وهو أقل عدد تسجله المدينة منذ عقدين، كما وانخفضت حالات الإصابة بعيارات ناريّة بأكثر من ٥٠٪.[١٣٧]

تعطي هذه الأرقام مؤشرًا إيجابيًا للغاية عن انخفاض معدلات الجريمة في المدينة، وفي حين يعود الفضل الأكبر في ذلك إلى الجهود التي قادها المجتمع في مكافحة العنف، إلّا أنّ ذلك يترك بعض الأسئلة العالقة أيضًا؛ مَن المستفيد الرئيس من هذا الانخفاض مع تسارع الاستطباق على حساب الشرائح الأكثر ضعفًا؟ هل يجعل هبوط نسبة الجريمة مِن أوكلاند أكثر جاذبية للطبقات الوُسطى والعُليا الأمر قد يفاقم الاستطباق؟ وأما السؤال الأخير والأهم في هذا الصدد، هل يرتبط هذا الانخفاض الحاد في مستوى الجريمة في التهجير للفئات المستضعفة الناجم عن الاستطباق؟ أي هل انتقل ثقل الجريمة إلى مكان آخر؟

«إلى الأمام» 4Front

تعاني العاصمة البريطانيّة لندن، منذ أكثر من عقد، من تزايد ملحوظ في معدلات العنف والجريمة، ولها وطأة خاصة على جيل الشباب، فقد قُتل في الأعوام ما بين ٢٠٠٥ و٢٠١٥، ١٩٣ مراهقًا ممن هم دون سن الـ١٩ عامًا،[١٣٨] وارتفعت معدلات جرائم القتل في المدينة بنحو ٥٠٪ بين الأعوام ٢٠١٤ و٢٠١٩، ليسجل العام ٢٠١٩ رقمًا قياسيًا خلال العقد الماضي.[١٣٩] وتشير الإحصائيات الحكوميّة إلى أن ٨٥٪ من ضحايا «عنف الشباب الخطير» في لندن، هم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-٢٤ عامًا، كما أن ٢٦٪ منهم من السود، بينما ٦٠٪ من المعتدين هم ممن تتراوح أعمارهم بين ١٣ و٢٨ عامًا، و٣٥٪ منهم من السود، مما يعني أن تمثيل السود بين المتأثرين من العنف لدى الشباب، هو أعلى من نسبتهم

135 المصدر السابق، 8 https://nicjr.org/wp-content/uploads/02/2018/Oakland's-Successful-Gun-Violence-Reduction-Strategy-NICJR-Jan2018-.pdf

136 Sanjana Karanth, Oakland Is Slowly Solving America's Rising Gun Violence Trend HuffPost, June 2019 4 https://www.huffpost.com/entry/oakland-california-decrease-gun-violence_n_5cf6d690e4b02b1bef0900f4

137 المصدر السابق

138 4Front, About, https://www.4frontproject.org/about

139 How Black Working-Class Youth Are Criminalised and Excluded in The English School Systems - A London Case Study, Institute of Race Relations, 10 ,2020.

من سكان المدينة التي تقف عند ١٧٪[١٤٠]. ولكن هذا لا يعني، أن العنف بين الشباب ناجم عن مشكلة عرقيّة لدى السود تحديدًا، بل هم الأكثر تأثرًا بها بسبب العنصريّة الهيكليّة المُمارسة ضدهم،[١٤١] كما أن أقل من ١٪ من مجمل الشباب الأسود في لندن ينخرط في جرائم خطيرة.[١٤٢] وتتداخل في هذه الآفة عناصر اقتصاديّة واجتماعيّة متعددة، لاسيما وأن أكثر من ٨٠٠ ألف طفل في لندن يعاني من الفقر.[١٤٣] وعلى الرغم من أن الظاهرة جماعيّة إلا أن لها وطأة خاصة على الفئات المستضعفة والفقيرة، ويبقى الشباب السود الفئة الأضعف والأكثر تهميشًا، والأقل نيلًا للموارد المؤسسيّة في المدينة.

أُجريت العديد من الأبحاث لفهم تفشي مشكلة العنف والجريمة في التجمعات السوداء داخل لندن، وربطت معظمها بين الطرد والتسرب من المدارس، وجرائم السكاكين، وحبس الشباب.[١٤٤] وعلى مستوى الطرد من المدارس في لندن، فإن احتماليّة طرد شاب أسود من المدرسة هي أعلى بأربعة أضعاف من معدل الطرد العادي؛ وأما الحبس، فنحو ٥٣٪ من الأطفال واليافعين المحتجزين في مراكز التدريب، والسجون، ومؤسسات الحبس المختلفة، هم من ذوي أصول عرقيّة غير بيضاء، معظمهم من السود.[١٤٥]

في هذا الواقع، نشأت (تيمي ماويل)، وتحديدًا في منطقة غراهام بارك التي تعدّ من المناطق الأكثر تهميشًا في غربيّ لندن؛ وهي فتاة سوداء أصبحت ناشطة ضد الجريمة والعنف في أعقاب مقتل صديق طفولتها ابن السبعة عشر عامًا، في جريمة قتل، عندما كانت لا تزال تبلغ من العمر ستة عشر عامًا عام ٢٠١٢، الأمر الذي دفعها للاجتماع مع عدد من مراهقي حيّها ليتباحثوا في طريقة لمعالجة أزمة العنف والجريمة التي تعصف في حياتهم وحياة أحبّائهم، وقرروا على إثره إطلاق مبادرة تهدف بشكل أساسي إلى منح الشباب المتأثرين مباشرةً من العنف والجريمة، القوة والقدرة على تغيير واقعهم الشخصيّ وواقع مجتمعهم، كآلية لتقليل الجريمة والعنف، ليتحول مشروعهم إلى مؤسسة اسمها 4Front أو «إلى الأمام»، نبتت من رحم معاناتهم، وتركّز عملها على تعزيز الشباب السود وأبناء الأقليات الأخرى في المنطقة. ولذا، تعرّف 4Front نفسها

140 المصدر السابق

141 المصدر السابق, 1

142 المصدر السابق, 10

143 London Datastore, Poverty in London 2019/2018, March 2020,https://data.london.gov.uk/blog/poverty-in-london19-2018-/

144 How Black Working-Class Youth Are Criminalised and Excluded in The English School Systems - A London Case Study, Institute of Race Relations, 13 ,2020.

145 المصدر أعلاه, 13

كمؤسسة يقودها الشباب.

واجهت المبادرة العديد من المصاعب في بادئ الأمر، خصوصًا شُح التمويل، ولكنها سرعان ما تمكنت من الحصول على التمويل اللازم، حتى وصلت إلى حد الحصول على تمويل من مؤسسات بريطانيّة مرموقة منها مكتب بلدية لندن، ومجلس دائرة بارنت، وغيرها.[١٤٦]

مع ذلك، وكما أشارت المديرة التنفيذيّة للمؤسسة، (تيمي ماويل)، في مقابلة أجريناها معها، إن 4Front تحصل على تمويلها من مسارين أساسيين؛ الأول، من الصناديق والمؤسسات الخاصة التي تُقدم المنح والعطاءات لدعم العمل الخيري، وهي الطريقة الأكثر انتشارًا في تمويل المؤسسات والجمعيات في بريطانيا. وهو مسار شائك للغاية كما تقول ماويل، لأنّ التمويل يبقى محدودًا ومشروطًا للغاية، كما أن 4Front لا تقبل، انطلاقًا من مبادئها، أنواع التمويل الخيري الأكثر انتشارًا عندما يتعلّق الأمر بالأقليتين السوداء والمُسلمة في بريطانيا، وتحديدًا التمويل المخصص لمنع التطرف في حالة المسلمين، والتمويل المخصص لمحاربة «عنف العصابات» لدى السود، إذ ترفض المؤسسة المنطق العنصريّ للأكثريّة البيضاء المعبَّر عنه في الحيزين العام والخاص، في تصنيف مشاكل الأقليتين على هذا النحو، وخصوصًا ذلك التمويل الذي يصب في إطار عملها ضد العنف والجريمة، فتقول ماويل إن هذا النوع من التمويل يجرّم المجتمع الأسود برمّته في تصنيف مشكلة العصابات على أنها مُشكلة لدى الأقليّة السوداء.

كما أن 4Front ترى نفسها مؤسسة هجينة تدمج بين تقديم الخدمات للشباب وبين عمل المناصرة وتنظيم الحملات للتغيير السياسيّ والاجتماعيّ. وتدّعي ماويل أن المؤسسات التي تقدم خدمات للشباب نادرًا ما تعمل في المناصرة «ربما لأنها لا تملك القدرة على ذلك، ولكن أيضًا بسبب ديناميكيّة القوّة في هذا العمل، فنحن كمجموعة أقليات (السود في بريطانيا)، ليس لدينا نيلًا للموارد، وأما قطاع الدعم الخيري، فيُسيطر عليه ويقوده البيض، بينما الذين يحتاجون للخدمات هم شباب سود».[١٤٧]

أمّا مسار التمويل الثاني، وهو المحبب إلى 4Front، فهو التبرعات، والتي تحصل على

146 Mattah Busby, Temi Mwale: 'The murder of my childhood friend changed everything', The Guardian, https://www.theguardian.com/society/2018/nov/27/temi-mwale-murder-childhood-friend-changed-everything

147 مقابلة مع تيمي ماويل المديرة التنفيذية لـ 4Front، 27.07.2021.

مبالغ ضئيلة منها من قبل المجتمع المحليّ الذي يتبرع بشكل دوريّ للمؤسسة. ولكن أكبر تمويل حصلت عليه المؤسسة، وفقًا لماويل، فهو من خلال حملة تمويلٍ جماعيّة أطلقتها عام ٢٠٢٠، وجمعت منها حتى اللحظة أكثر من ١١٤ ألف جنيه إسترليني.[١٤٨]

تتبع 4Front نهجًا يسعى إلى تعافي الشباب والمجتمع بالتوازي مع تبنيها مبادئ العدالة التحويليّة. وتناهض أشكال الحبس والعقاب؛ لعلاج ظاهرة العنف، لاسيما ضد السود، وباقي الأقليات، والمجتمعات المهمشة. ولهذا تدعم المؤسسة فكرة تفكيك الشرطة وضخ تمويلها في المشاريع الاجتماعيّة. وتركّز عملها على تقوية الأطفال والمراهقين من الذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و٢٥ عامًا، سواء في مجتمعاتهم المحليّة، أم المدارس التي يرتادونها، وحتى السجون. وهي مؤسسة قائمة على العضويّة، أي أنها تقدم خدماتها بشكل أساسيّ لمن يُصبح عضوًا فيها ويلتزم بشروطها ومبادئها.

برنامج العضويّة

تقول ماويل إنه مع تطور المؤسسة وزيادة أعبائها، بدأ الأعضاء المؤسسون ينتبهون إلى أن آلية العمل التقليديّة للمؤسسات، أي تقسيم عملها لمشاريع منفصلة عن بعضها بعضًا، لم يجدِ نفعًا، ورأت أن الأعضاء الذين نشطوا في هذه المشاريع المختلفة كان يجمعهم انتماء واحد وهو لـ 4Front، ولهذا قرر الأعضاء لاحقًا الاستغناء عن هذا المبنى، وتحويل 4Front إلى مشروع شامل واحد بحد ذاته، يختار العضو من خلاله أي خدمة يريد الحصول عليها، من الخدمات المتنوّعة التي تقدمها المؤسسة.

والفكرة هنا أن المؤسسة تسعى إلى خلق ترابط بين أعضائها وانتمائهم لـ 4Front؛ لتقديم دعم أكبر لهم. أما عن شروط العضويّة، فإن 4Front تضع شرطين أساسيين للانضمام؛ الأول، هو أن يلتزم العضو الجديد بإحداث تغيير حقيقي في حياته، وهنا تقول ماويل: إن قياس التغيير الحقيقي يعتمد على ما يريد العضو تغييره في حياته، فمثلًا «إذا كان الشاب يستعمل المخدرات، ويرى أنها العائق الرئيس أمام تطوّره، فإن عليه الالتزام بالتخلص من هذه العادة»[١٤٩]. وأما الثاني، فهو الالتزام بدستور 4Front المؤلف من ثمانية «حريات»:

148 Go-Fund-Me, Youth for Police Accountability & Racial Justice https://www.gofundme.com/f/youth-for-police-accountability-and-racial-justice?utm_source=customer&utm_campaign=p_cp+share-sheet&utm_medium=copy_link_all

149 مقابلة مع تيمي ماويل المديرة التنفيذية لـ 4Front، 27.07.2021

- حرية الحلم
- الحرية من الاضطهاد.
- الحرية لجميع الأصوات على مختلف أنواعها.
- الحرية من الاعتقال، والحبس، والترحيل.
- الحرية من التعبيرات المؤذيّة أو الكارهة.
- حرية الحصول على مساحات آمنة ونظيفة.
- الحرية من الكحول والتمباك والمخدرات.
- حرية الحب.

آلية عمل المؤسسة

توفر المؤسسة منصةً للشباب الذين تأثروا بالعنف؛ لإحداث التغيير، حيث تحفزهم على العمل في طليعة حركة شعبيّة للتغيير، وفقًا لإيمان مشترك بين أعضاء المجموعة، بأن هناك فارق جوهريّ بين تقليل العنف، وبين العمل على إحقاق سلام مجتمعيّ. ولهذا فهم يركزون على الشباب المتأثر بالعنف لتغيير واقعهم، عن طريق تحويلهم لأعضاء في المؤسسة، بالتوازي مع التركيز على تغيير وجهة نظر المجتمع المحليّ للعنف والجريمة، ورؤيتها كمنظومة متكاملة من الأسباب والنتائج. كما ويركز عملها على إعلاء المساواة العرقيّة وتشجيع أعضائها (ومعظمهم من السود) على التعرف إلى نقاط قوتهم والعوائق المؤسسيّة الملقاة أمامهم. وتعمل على تفكيك العنصريّة الهيكليّة جذريًا.

وعن هذا قالت ماويل: «نناضل من أجل تغيير المنظومة على مستوى المؤسسة، ونريد أن نغيّر المفهوم العام لمشكلة العنف والجريمة، كما نريد أن نكون جزءًا من الحلّ من حيث دورنا في تحويل كيفية رؤية هذه القضية... ويتمحور عملنا حول قول الحقيقة لِما رأيناه بأنفسنا واختبرناه في حياتنا، وضمان وصول هذه الرسالة بالتشبيك مع مجموعات أخرى. أما الجانب الثاني، فهو منح خدمات دعم مباشرة للشباب المتأثر بالعنف، وتحديدًا أعضائنا الذين تأثروا بالعنف سواء في الشارع أم من قبل منظومة العدالة الجنائيّة؛ من أجل أن يتمكنوا من خلق تغيير في حيواتهم، ومحاولة تسهيل الفرص من أجلهم كي يساهموا في تغيير أكبر وأكثر عمقًا في المجتمع».

من المهم بالنسبة لـ 4Front أن تؤكد دائمًا أن أعضاءها ليسوا مجموعة من الخبراء أو المهنيين الحاصلين على مؤهلات رسميّة في التعامل مع الشباب، فهم لا يؤمنون أن تغيير المجتمع منحصرٌ على هؤلاء، ولهذا، فهم يتبعون نهجًا جديدًا ينطلق من استيعاب حاجات شباب المنطقة، ويقدمون الخدمات بناء عليها.

تركز المؤسسة في عملها على أربعة محاور أساسيّة:

- **الدّعم النّفسيّ والإبداعيّ والقياديّ الفرديّ للأعضاء:** وهنا تعمل 4Front بالتعاون مع أعضائها على تحديد الأهداف من أجل تحويل الحياة الشخصيّة للأفراد لواقع أفضل، من خلال عدة مسارات منها: مساعدة الأفراد على علاج الصدمات، والحزن، والتوتر الناجم عن تجارب مؤلمة متعددة، كالتعرض للعنف وخصوصًا ما ينتج عنه من الفقدان، أو الاعتقال أو السجن. وتزويد الأعضاء بأدوات إبداعيّة؛ للتعبير عن تجاربهم. وهنا تركّز 4Front على التمكين الذاتي وتقوية الشعور بالهويّة والقدرة على الصمود. ويأتي هذا الدعم على مستوى المجتمع، والأطر التعليميّة وحتى في مؤسسات العدالة الجنائيّة، بما في ذلك مراكز الشرطة بعد الاعتقال والمحاكم والسجون.
- **الدعم الجماعيّ:** تعمل 4Front مع أعضائها على تكوين شعور بالهويّة الجماعيّة بينهم، من أجل التعافي والصمود. على مستوى المجموعة، تركّز المؤسسة على دعم أعضائها للتعبير عن مشاعرهم، والتوسّط في النزاعات، وتمكين المجموعة من تطوير استراتيجيات للمواجهة والصمود. ومن خلال ورش عمل جماعيّة، توفر المؤسسة فرصًا تعليميّة للأعضاء؛ لاستكشاف القضايا التي تؤثر عليهم، وتطوير مهارات جديدة من خلال فصول إبداعيّة ومعرفة تاريخيّة. كما تدير 4Front نادٍ للملاكمة يساعد في تحسين صحة الأعضاء سواء الجسديّة أم النفسيّة.
- **تدريبات مختلفة:** توفر 4Front مجموعة من الفرص التدريبيّة لأعضائها؛ لبناء مهاراتهم وتمكينهم من الثقة بأنفسهم. وهناك أكثر من نوع من التدريبات: التدريب على الاستجابة المجتمعيّة، والذي يزيد من قدرة الشباب المتضررين من العنف ومنظومة العدالة الجنائيّة على تقديم الدعم في مجتمعاتهم، واتخاذ الإجراءات اللازمة. وهذا يشمل تزويدهم بأدوات الإسعافات الأوليّة في الصحة النفسيّة، والإسعافات الأوليّة في حالات الطوارئ، وتعبئة المجتمع، والتفاعل الإعلاميّ، والرعاية الذاتيّة، وممارسات العدالة التحويليّة. ولهذا تعلم أعضاؤهم كيفية تقديم

سلسلة من ورش العمل، والدورات التدريبيّة، فقد حشدوا الشباب الآخرين من خلال قيادة الأحداث في المجتمع، وإعلاء صوتهم في مجلس النواب، ووزارة الداخليّة، والكلّية الملكيّة للتمريض.

- **المناصرة:** تقدم 4Front دعمًا لأعضائها وعائلاتهم لمساعدتهم على فهم الإجراءات القانونيّة والقضائيّة وحقوقهم فيها، وترافق أعضائها في مراكز الشرطة، لمراقبة التفاعلات واللقاءات مع الشرطة، وتدعمهم في الحصول على تمثيل قانونيّ، وتحسين التواصل بين الأعضاء ومحاميهم، وتوفير التمثيل المناسب للأعضاء في المحكمة من خلال الشهادة والدّعم المكتوب. وتتقدم المؤسسة بطلبات والتماسات نيابة عن أعضائها؛ لتوفير دعم من المدارس، والكليات، والأحكام البديلة، والسلطات المحليّة، ومقدمي الإسكان؛ لتلبية احتياجاتهم.

وتفصّل 4Front خدماتها في طلب العضويّة الذي يتقدم به الأعضاء الجدد بلغة بسيطة، حيث تراعي الشريحة العمريّة المستهدفة (١١-٢٥ عامًا)، وقد حصلنا على نُسخة منه من مديرة المؤسسة، تيمي ماويل، وسنفصّله بتصرف هنا:

التوجيه

تقدّم هذه الخدمة للشاب/ة دعمًا لفهم مشاعره/ا وتعزيزه/ا لتحقيق أهدافه/ا وتطلّعاته/ا عبر:

- جلسات شخصيّة فرديّة مع موظف الدعم في 4Front.
- مناقشة تطلعات وطموحات العضو.
- وضع الأهداف والعمل على تحقيقها ومتابعتها.
- توفير حيّز يمكّن العضو من حلّ المشاكل والاحتفال بإنجازاته.
- بناء الثقة الشخصيّة للعضو، وتقديره/ا لذاته/ا، وهويته/ا.
- تقديم أدوات للتعبير عن النفس.

الدعم عبر المُناصرة

يساعد هذا الدعم الشاب/ة على إيصال صوته/ا بشكل واضح وحازم لأي مهنيّ يعمل معه في أماكن مثل دائرة الهجرة، ومنظومة العدالة الجنائيّة، والرفاه الاجتماعيّ، والمؤسسات التعليميّة، عبر تقديم الدعم التالي:

- مساعدة العضو على فهم حقوقه والخيارات المتاحة أمامه.
- تقديم دعم شخصي بالغ في حالات الاعتقال.
- توفير محامٍ.
- متابعة قضيّة العضو.
- التواصل الدائم مع محامي العضو.
- حضور جلسات المحاكم.
- معالجة مواقف قد يواجهها العضو أمام المدرسة، والجامعة، وهيئات الخدمات الاجتماعيّة، والإسكان، والشرطة، ودائرة الهجرة.
- تقديم الشكاوى في حالات سوء المعاملة من المؤسسات الرسميّة.

إرشاد إبداعي

تقدم 4Front دعمًا لأعضائها في التّعبير عن أنفسهم، وتحقيق أهدافهم وطموحاتهم عبر دعمهم بالتالي:

- جلسات شخصيّة فرديّة مع موظف الدعم الإبداعي في 4Front.
- مناقشة التطلعات والطموحات الإبداعيّة للعضو.
- وضع الأهداف والعمل على تحقيقها ومتابعتها.
- تنمية القدرات الإبداعيّة.
- استكشاف المهارات الجديدة لدعم التطور الإبداعيّ للعضو.

دورات موسيقيّة متقدمة

توفر 4Front لأعضائها المهتمين بالموسيقى، إمكانيّة تطوير مهاراتهم عبر الخدمات الآتية:

- تنمية القدرات الفنيّة.
- تنمية القدرات الإنتاجيّة.
- تقديم المعرفة حول صناعة الموسيقى والمسائل القانونيّة المرتبطة بها.
- تقديم العضو لمهنيات ومهنيين في صناعة الموسيقى؛ لتقوية شبكة العلاقات المهنيّة في المجال.
- تعزيز ثقة العضو/ة وفهمه/ا ماذا يعنيه أن تكون فنانًا أو منتجًا.

- مساعدة العضو على تحصيل شهادة أو مؤهل في الفنون.
- كما وتوفر المؤسسة استوديو للأعضاء، لمساعدتهم على إصدار أعمالهم الخاصة.

ورش تقوية

من خلال هذه الورش، تسعى 4Front لتقديم جلسات تفاعليّة غنية بالمعلومات لأعضائها، لمنحهم القدرة على تنمية مهارات جديدة، والتقاء أُناس آخرين، وتعميق معرفتهم حول المواضيع التي تقع في دائرة اهتمامهم من المواضيع الآتية: التنميّة الشخصيّة، والهويّة، والاعتناء بالذات، ونمط الحياة الصحيّ، والمهارات الحياتيّة المختلفة، والحقوق القانونيّة، والقدرات المهنيّة، والنشاط المجتمعيّ والسياسيّ، والسياسة، والتاريخ، والجنس، والعلاقات.

زمالة النشاط الشبابيّ

من خلال هذه الخدمة، توفر 4Front تدريبًا مدفوعًا للقادة الشباب حول القضايا التي تنظم المؤسسة حملات من أجل تغييرها على المستويين السياسيّ والاجتماعيّ، لوضع الشاب/ة في طليعة حركة التغيير من خلال تقديم الدعم الآتي:

- تعلم مهارات تنظيم الحملات السياسيّة والاجتماعيّة، والنشاط المجتمعيّ، وتطبيقها على أرض الواقع.
- معرفة القضايا الأساسيّة التي تؤثر على المجتمع.
- اكتساب مهارات ومعرفة لأخذ موقف فعّال في معالجة القضايا المهمة للعضو.
- حشد شباب آخرين، وإيصال الصوت لصُناع القرار وغيرهم؛ من أجل إحداث التغيير.
- قول الحقيقة أمام السلطة.

برنامج القيادة الشابة

يتيح هذا البرنامج لأعضاء 4Front الراغبين بأخذ دور في صناعة القرار داخل المؤسسة، وكيفيّة عملها، من خلال تقديم الدعم الآتي:

- تعليم مهارات اتخاذ القرار.
- منح العضو فرصة إبداء رأيه بطريقة عمل 4Front.

البرنامج الترفيهي

- يوفر هذا البرنامج حيزًا للشباب لـ «بناء المجتمع» من خلال النشاطات المسلّية واللعب:
- ليالي لشتى أنواع الألعاب.
- ليالي لعرض الأفلام.
- رحلات.
- نشاطات مختلفة.

نادي الملاكمة

يتيح نادي الملاكمة للشباب، عيش حياة أكثر صحيّة ويعلمهم الانضباط والروح الرياضيّة:

- تمارين ملاكمة أسبوعيّة.
- بناء الثقة بالنفس من خلال التمارين.
- تنمية الرشاقة والقوة البدنيّة، واكتساب مهارات الملاكمة.

الدعم في الأزمات

تساعد هذه الخدمة الأعضاء في حال تعرضهم لخطرٍ داهم أو لمواقف صعبة في الحياة، عبر توفير الآتي:

- مساعدة الشاب/ة على تهدئة أعصابه/ا في حالات التوتر.
- تقديم إسعافات أولية نفسيّة.
- تقديم المساعدة للعلاج الطبي المهني.
- تقديم الدعم المالي للموارد المرتبطة بالاحتياجات الأساسيّة أثناء حالات الطوارئ.
- وضع خطة دعم في الأزمات.
- إنشاء شبكة دعم قوية.

الدعم في الأسر

توفر هذه الخدمة للأعضاء، القدرة على الإحساس بأن هناك من يكترث لأمرهم حتى وهم معتقلون أو مسجونون من خلال خطوات الدعم الآتية:

- توفير الدّعم القانونيّ.

- مناصرة السجين.
- المحافظة على التواصل مع السجين من خلال الرسائل والمكالمات الهاتفيّة والزيارات.
- إسماع صوت السجين.

تُقدّم الكثير من هذه الخدمات اليوم في «مركز جاييم للعدالة» الذي افتُتح العام الماضي، وأطلق عليه هذا الاسم تيمنًا باسم أحد أعضاء 4Front، (جاييم لجستر-هول)، الذي توفي في حادث سير عام ٢٠١٩. واستوحى أعضاء المؤسسة مُفرد «مركز العدالة» من تجربة مجموعة تنشط في مدينة لوس أنجلس الأميركيّة تُدعى «اتحاد العدالة الشبابي» Youth Justice Coalition[150]، لتحدي فكرة احتكار السلطة لمفهوم العدالة بصورتها التقليديّة. وعلى هذا النحو، أُسس مركز «جاييم» ليكون حيزًا شبابيًا خاصًا بـ 4Front، تُقدِم من خلاله الكثير من خدماتها. وتقول المؤسسة في شرحها عن المركز في موقعها الإلكتروني: «مركز جاييم للعدالة، هو تجسيد لشخصية (جاييم) وقيمه وأحلامه. في الوقت الذي تم فيه تجريد جميع الموارد من منطقة غراهام بارك، نتيجة سياسة الاستطباق، قمنا باستعادة مبنى كيميست القديم وتحويله إلى مساحة قوية للإبداع والتمكين والشفاء، في قلب مجتمعنا».

وعن خدمتيّ الدعم في الأسرِ والدعم في الأزمات، فإن طبيعتهما فوضويّة، فلا يُمكن توقع الحوادث المرتبطة بها، وهنا تعطي المؤسسة أولوية لأعضائها في معالجة هذه المسائل، ولكنها أيضًا منفتحة للجمهور الأوسع. وعن آلية عملها أشارت مديرة 4Front، (تيمي ماويل)، إلى أنّ الأعضاء يهرعون لمرافقة الشباب اليافع، لاسيما القاصرين، لمراكز الشرطة في حالات الاعتقال، ليتأكدوا من أن كل الإجراءات تتم بما يقتضيه القانون، وعلى أكمل وجه، مهما كانت تهمة الشاب، فهم يؤمنون أن عليهم تأدية دورهم غير المشروط في دعم المعتقلين، تمامًا كما يفعل المحامون في الدفاع عن المعتقلين مهما كانت التهمة الموجهة لهم. وعن ذلك تقول «هي ديناميكيّة صعبة للغاية، ولكنها مهمة؛ لأنّ العقاب ليس حلًا أبدًا، فيجب تقديم الدعم. كما أنّنا نُقدم دعمًا للمسجونين أيضًا، فكونهم مُدانون بجرائم لا يعني أنّهم لم يعودوا جزءًا من 4Front». وفيما يخص الدعم في الأزمات، فقد أوضحت ماويل، أنّ الثقة التي بناها أفراد المجموعة مع أبناء المنطقة على مدار سنوات عملها، خلقت حلقة تواصل مباشرة بين المجتمع المحلي

150 Youth Justice Coalition, About the Space https://www.youthjusticela.org/about-the-space/

وبين 4Front، وتُرجم ذلك في أحيان كثيرة، بتواصل أفراد من المجتمع مع المؤسسة في حالات الأزمات التي تتخللها سلوكيات عنيفة، بدلًا من الاستنجاد بالشرطة. وهنا يأتي دور أعضاء المؤسسة للتوسّط في حلّ المشكلة مع الشاب أو الشابة، أو التخفيف من وطأتها، والتوسّط مع أفراد الشرطة إذا وصلوا إلى المكان لِئلّا يستخدموا العنف. وكمثال على ذلك قالت ماويل:

«قبل فترة وجيزة، نشب خلاف بين شاب قاصر وأسرته لأن أحد ذويه أعطى هاتفه لشخص آخر. فاستشاط غضبًا وبدأ يحطم محتويات المنزل وأمسك سلاحًا مهددًا جميع من حوله. اتصل ذويه بنا لأن لديهم علاقة جيدة معنا، وذهب أحد أعضائنا، ولكن الجيران كانوا قد اتصلوا بالشرطة، وعندما وصلنا كانت عناصر الشرطة تهّم لصعقه بمسدس كهربائي. ولكن، ولحسن الحظ وصلنا في الوقت المناسب، وقمنا بأمرين: أولًا، تهدئة الشاب والحديث معه. وثانيًا، تهدئة عناصر الشرطة. وعند الحديث معه فهمنا أنه استشاط غضبًا لأن الهاتف الذي كان بحوزته كان يحتوي على صور صديق له مات منذ فترة قريبة، والآن ضاعت هذه الصور للأبد؛ لأنه لم يحفظها بمكان آخر. في هذا المثال، أولًا منعنا الشرطة من صعقه بالكهرباء واعتقاله، بل أنّ أفراد الشرطة سعدوا بأننا سيطرنا على الموقف، لأنهم كانوا خائفين منه، رغم أنّه لم يتجاوز الخمسة عشر عامًا. واليوم لدى هذا الشاب شخص يحدّثه عن حزنه، ويأخذ دعمنا الكامل في هذا الموضوع، كما وتواسطنا مع العائلة، واعتذر للعائلة ولأمه عمّا بدر منه، وشرح لماذا فعل ذلك، بعدما ساعدناه على بناء مهارات حسيّة وتعبيريّة للحديث عن مشاعره».

شددت ماويل على أن المؤسسة دائمة التطور وتحاول أن تؤثر على مختلف الأصعدة، لذا فإنها تتواصل أيضًا مع المدارس والمؤسسات التربويّة التي تعاني بشكل أكبر من العنف بين طلابها، لمعالجة ما يُعرف بخط أنبوب المدرسة إلى السجن، حتى إنّ إحدى هذه المؤسسات بدأت تتوجه لـ 4Front قبل الشرطة في حالات العنف داخل المدرسة.

وعلى مستوى النشاط السياسيّ والاجتماعيّ، فإن ناشطي 4Front تصدروا العديد من المظاهرات في المدينة، مثل الاحتجاج على مقترح قانون محليّ يعطي صلاحيات أكبر للشرطة ومصلحة السجون البريطانيّة[151]،والذي شارك فيه أعضاء 4Front بحضور قويّ،[152]

151 4Front, 4Front Kill the Bill Explainer https://www.4frontproject.org/post/4front-kill-the-bill-explainer

152 4Front, 4Front Attend Kill the Bill Protest, https://www.4frontproject.org/post/4front-attend-kill-the-bill-protest

وتحدث أعضاؤها بما في ذلك (جاييم لجستر-هول)، عن أساليب مكافحة العنف البديلة أمام البرلمان البريطاني[١٥٣].كما وشارك أفراد المجموعة في الاحتجاجات التي اندلعت في بريطانيا عِقب مقتل جورج فلويد في الولايات المتحدة، على يد أفراد من الشرطة، إذ تتركز قضيته في لبّ عمل 4Front في بريطانيا ضد شرطنة الحيز العام، وزيادة تعداد السجون. وفي هذا الصدد أيضًا، يواظب أعضاء 4Front على الاحتجاج ضدّ عنف الشرطة، سواء في الشارع حيث تتم الاعتداءات أم في مركز الشرطة، وهذا ما أدى إلى اعتقال عضوين من الفريق، عام ٢٠٢٠، بشكل تعسفي نتيجة احتجاج ضدّ عنف الشرطة.[١٥٤]

المبنى التنظيمي

هناك العديد من الوظائف في طاقم عمل 4Front: مديرة تنفيذيّة، ومسؤولة عن النشاطات، ومسؤول عن دعم الشباب، ومسؤول عن تنميّة الشباب، ومدير هندسة صوت، وموظفين لدعم الشباب، وموظفين في الدعم الإبداعي للشباب، وموظفة دعم قانونيّ، وموجهة تنمية، ومساعدين اتصالات، ومساعدة إعلاميّة، إضافةً إلى طاقم من المراقبين لعمل المؤسسة مكون من خمسة أفراد. وتقول ماويل إن هناك وظائف أخرى غير مُدرجة على الموقع، كما أن هناك مشاريع قصيرة المدى تحاول توفير دخل للأعضاء لبضعة أشهر.

أما عن آلية اتخاذ القرارات، فتقول: «نحاول أن نكون على القدر الكافي من الانفتاح والديمقراطيّة، لمشاركة جميع أعضائنا في عمليّة اتخاذ القرار، ونحن في صدد تطوير هذه الآلية، فنسعى اليوم إلى إعطاء الشباب فرصًا أكثر ليشاركوا في هذه العملية، عبر تحويل طاقم عملنا إلى طاقم شبابيّ.» وتضيف: «عندما بدأنا كنا في الأصل يافعين، ونحاول الحفاظ على هذه الروح. لفترة قصيرة كان ذلك يتم بصورة غير رسميّة، لكننا جعلناها سيرورة رسميّة مؤخرًا من خلال برنامج القيادة الشابة».

153 The 4Front Project, Facebook Post, September 2019 ,6 https://ar-ar.facebook.com/4FrontProject/posts/it-is-with-deep-sadness-and-regret-that-we-have-to-announce-that-jahiem-a-core3562759753749496/4-/

154 Police Abuse of Power Leaves The 4Front Project with No Option but Legal Action, September 2020 ,5, https://www.4frontproject.org/post/4front-legal-action-against-police

ويبلغ عدد الأعضاء الناشطين في المؤسّسة اليوم، وفقًا لما قالته ماويل، ١٠٩ أعضاء، مع التأكيد أنهم يقومون اليوم بجمع أشخاص آخرين، ويُتوقع أن يصل عدد الأعضاء الجدد نحو سبعين عضوًا في العام ٢٠٢٢.

آلية فحص التأثير

أشارت ماويل إلى أنّ 4Front لا تقيس تأثيرها بالأرقام وحدها، بل هناك جانبين: كميّ ونوعيّ، لاسيما أن التغيير الذي يريده أفراد المجموعة متشعب ويطال عدة جوانب من حياة الفرد والمجتمع، كما أنهم يعملون مع الشباب على الكثير من الاحتياجات المعقدة والمختلفة. مع ذلك تحتفظ المؤسسة بقاعدة بيانات تتبّع كلّ عضو، وعدد الجلسات التي يشارك فيها، وطبيعتها، وماذا حصل فيها، وما الذي تحدث/ت الشاب/ة به خلال الجلسة، أو ما الذي وصله/ا من خلال الجلسة من معلومات وماذا استفاد منها. وذلك ينطبق على جميع خدمات 4Front. إضافةً إلى ذلك، يُجري الطاقم مقابلات شخصيّة دوريّة مع الأعضاء لمعرفة رؤيتهم وسماع آرائهم.

كما أسلفنا سابقًا في قسم التجارب التي فحصناها خلال بحثنا، رأينا أنّ هناك مبادرات كثيرة شبيهة بمبادرة «Binning Knives Saves Lives»، لمصادرة السكاكين من الناس في أحد أحياء لندن، وتتمتع بصدى إعلامي كبير مقارنة مع التجارب الأخرى. وعندما سألنا ماويل عن سبب عدم اتباعهم هذا التكتيك قالت: «المشكلة بجمع السكاكين، هي أن السكاكين تبقى موجودة وبوفرة وفي كل مكان. لذا فالمسألة لا تتعلق بمصادرتها».

وأما عن مبدأ مصادرة الأسلحة غير القانونيّة بشكل عام، فقد قالت: «أظن أن جَمع الأسلحة لا يكون إلّا على المدى القصير، فإذا أخذْ سلاحك الآن، ستتمكن من توفير سلاح من نوع آخر في بضع دقائق. ولذا يجب معالجة جذور المشكلة التي تدفع الشباب إلى حمل السلاح، لماذا يشعر الشاب بانعدام الأمان؟ ولماذا يظن

أنه بحاجة إلى حمل السلاح؟ وما الذي يعيشه هذا الشاب؟ أهو مستهدف؟ أم أنه في خطر داهم؟ إلى أن نُعالج جذور المشكلة ذاتها، يُمكننا أن نصادر ما يحلو لنا من سكاكين، ولكن الأسباب التي جعلته يحملها ستبقى».

استنتاجات وتوصيات

خلال بحثنا، حاولنا استكشاف تجارب عالميّة يُمكنها أن تُلهم الحراكات، والمجموعات الفلسطينيّة المختلفة العاملة على مكافحة العنف والجريمة في أراضي الـ ٤٨، من خلال شرح أفضل التكتيكات التي تستند إليها، واستعراض طُرق عملها أو حتى نظرتها لهذا النوع من الأزمات الاجتماعيّة.

منذ البداية، لم نتوقع أن نتوصل إلى تجارب تتطابق مع الحالة الفلسطينيّة من حيث السياق، والحلول، وطُرق العمل. ولكن التجارب التي يستعرضها بحثنا، لاسيما تلك التي استفضنا في شرح نماذج عملها، اتبعت طرقًا، ووظفت آليات لمكافحة العنف والجريمة، ورأينا أنّه بإمكان الأطراف المعنية استخلاص العبر منها، وملاءمة ما يناسب المجتمع الفلسطينيّ من تطبيقاتها؛ لمكافحة أزمة تعصف بأمان المجتمع ككل، دون الاعتماد على السلطة والدولة، وتقديم حلول داخليّة. وذلك بوعٍ تامٍ بصعوبة قياس الأثر الحقيقيّ لأيّ مجهود شعبيّ يستهدف شريحة واسعة من الناس.

استنتاجات

انطلق حراكا 4front وGideon›s Army بتجربة شخصيّة أليمة ناجمة عن العنف والجريمة، ألمّت بأحد المبادرين من أهل القضيّة وأثرت به، مما دفعهم للتحرك لإيجاد حلول عمليّة للحد من الجريمة في المجتمع، انطلاقًا من الإيمان بأنّ المجتمع نفسه هو الذي يملك مفاتيح حلول أزماته الداخليّة؛ لأنّه الأكثر تضررًا منها.

ولاحظنا أنّ نجاح عمل المجموعات ونخص بالذكر 4front و Gideon›s Army، يكمن في طريقة عملها التي تنبع من حاجة أصحاب القضيّة «استراتيجيّة القاعدة إلى القمة»، إذ تولي معظم المجموعات العاملة في مضمار مكافحة العنف والجريمة، أهميّة خاصة للإصغاء لمجتمعاتها المحليّة واحتياجات الشارع والأهالي، ويخطّون استراتيجيات عمل تتمحور حول توفير هذه الاحتياجات، فعند التمعن،

أيضًا، في نموذج Cease Fire Oakland، نرى أن المبادرات الثلاث تخاطب الأشخاص، والعائلات المتضررة من العنف والجريمة مباشرة، وتجري فحصًا معمقًا لحالة العنف والجريمة في المجتمع، وتنطلق من هنا لوضع خطط عملها. أي أنّ المجتمع كان بوصَلتُها، ونبعت الخطوات من احتياجاته وخصوصياته، وبإدراك تام لدور ممارسات السلطة الإقصائيّة والعنصريّة والتهميش، في إدخال المجتمع إلى دوامة العنف والجريمة. ولم يأتِ هذا النهج من فراغ، فقد تعلم ناشطو هذه الحركات مِن تجارب مَن سبقوهم في مكافحة العنف والجريمة، لاسيما تلك التي أثبتت فشلها بسبب عدم تشخيصها احتياجات المجتمع المحليّ المتضرر، وإنما طبقت استراتيجيات هرميّة جاهزة وأسقطَتها على أهل القضيّة.

استخدمت التجارب المختارة العدالة التحويليّة أو التصالحيّة أو كلا النهجين في مكافحة العنف والجريمة في المجتمع. نرى أنّه في نموذجيّ 4front و Gideon›s Army رفض أعضاء المجموعتين الاستعانة بمنظومة العدالة الجنائيّة لحل آفة العنف والجريمة التي يعانون منها، إذ يرى هؤلاء أنّ الدولة ومؤسساتها تمثل جزءًا من المشكلة في السياق السياسيّ الذي تعيش فيه مجتمعاتهم، مما يجعل تدخل سلطات إنفاذ القانون في هياكلها الحاليّة، والعنصريّة في غالبها، والتي تعتمد على شرطنة الحيّز العام، غير مرغوب بها، إذ تتسم معاملتها لأفراد المجتمعات المهمشة بعدائيّةٍ وتمييزٍ عنصريّ، مما ينجم عنه آثار سلبيّة غير متكافئة على الأقليّة السوداء في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، وتحديدًا في المناطق التي تنشط بها كل من 4front و Gideon›s Army. كل ذلك، وأسباب أخرى ذُكرت أعلاه، تُفضي إلى استنتاج مفاده أن السلطة، بحلّتها الحاليّة التي راكمت عنصريّة وتهميشًا للأقليات المذكورة، لا يمكن أن تكون شريكة حقيقية في التغيير الذي يحتاجه المجتمع. وتعتقد جميع الحراكات التي تفحصها هذه الورقة، أن المجتمع المضطهد دفع ثمنًا كافيًا من إفقار وتفشٍّ للجريمة ومعدلات الأسِر العالية غير المتكافئة مع غيره من أفراد المجتمع المهيمن.

في سياقات العنف البنيويّ السلطويّ الممارس ضد المجتمعات المضطهدة، تحاول الحراكات الأهليّة التي نبتت من رحم معاناة المجتمع، اللجوء إلى طرق وبدائل عن السلطة لعلاج مشكلة العنف والجريمة من داخل مجتمعها، حتى وإن استعانت بالسلطة أحيانًا كما يظهر في نموذج Cease Fire Oakland. ويظهر في النماذج الثلاثة المختارة، انعدام ثقة متأصل لدى المجتمع المضطهد تجاه الدولة ومؤسساتها، لاسيما وأنها المسؤولة الأولى عن تيسير هذه الأوضاع السيئة التي يعيشها. وعلى هذا النحو، فهناك رفض، يتضح بشكل جلي عند كل من 4front وGideon›s Army، لتجريم أبناء المجتمع الذين انساقوا إلى العنف والجريمة؛ نتيجة الأوضاع التي خلقتها المنظومة، وإلحاح الحاجة لاستيعاب هؤلاء في سيرورة إصلاح مجتمعيّة جذريّة تعطي فرصة تغيير للمنخرطين في الجريمة، وتعيد تأهيلهم؛ لإدماجهم في المجتمع مجددًا، ولكن كعناصر إيجابيّة بدلًا من حبسهم وتجّريمهم وإجبارهم على العودة لدائرة العنف والجريمة ذاتها، كما يُنظر إلى هؤلاء بصفتهم حجر أساسٍ في التغيير المطلوب؛ لكونهم مِمن كانوا ذات مرة من بين الأفراد الأكثر تضررًا من هذه الآفة. ويظهر رفض تجريم المجتمع في نموذج Cease Fire Oakland أيضًا، مع أنه الأقل جذريّة من بين النماذج الثلاثة؛ فرغمَ أنّ أعضاء المجموعة لم يرفضوا تدخل سلطات إنفاذ القانون بشكل مُطلق، إلا أنهم آثروا استخدام استراتيجيات العدالة التصالحيّة والانتقاليّة للتغيير المجتمعيّ، وسعوا إلى تغيير نهج سلطات إنفاذ القانون؛ لتتلاءم مع احتياجات أهل القضيّة، بالاستعانة بتكتيكات العدالة الإجرائيّة. وبالتالي، ساهم تركيز سلطات إنفاذ القانون في حالات عينيّة من تقليل العنف الشُرطي، والاعتقالات التعسفيّة.

أما في حالتي 4Front وGideon›s Army، فلم يكتف الأهالي بالإصغاء لمطالب مجتمعهم والسعي لتنفيذها، وإنما يعمل هذا النوع من التجارب على إشراك الأهالي، والشباب خصوصًا، كونهم الأكثر تأثرًا بالعنف والجريمة، في مشاريعها ونشاطاتها، بل وتشغيلهم فيها في أحيان كثيرة. كما تركز المجموعتان على ضرورة التدخل الفوريّ في حالات الطوارئ العنيفة في الشارع، ومحاولة منعها أو

معالجتها، ودرء مخاطرها ومنع استمرارها. وهذا ما ساهم في ترسيخ علاقة ثقة بين الأهالي والمؤسستين، وبقدرتهما على المساعدة والتغيير ضمن استراتيجيّة تعافٍ مجتمعيّة شاملة تشمل الدعم الاقتصاديّ، والنفسيّ، والتوعويّ، والسياسيّ.

كما رأينا أن نجاح المبادرات الثلاث اعتمد، أيضًا، على مناهضة مسببات العنف والجريمة وليس أعراضها فحسب، فتقوم المبادرات الثلاث، بخطوات عديدة لمناصرة الأطفال واليافعين، وخلق أُطرٍ مناسبة لهم؛ لتطوير مهاراتهم الحياتيّة ومرافقة احتياجاتهم في المدارس، وتطوير حسهم بالاحترام الذاتي والقيمة لمنع انزلاقهم نحو العنف والجريمة.

من الجدير بالذكر أيضًا، أن النماذج التي نشأت عن تحرك أهل القضيّة مثل 4Frontg Gideon›s Army ضمت صوتًا نسائيًا ونِسويًا واضحًا، تمثّل بشكل أساسيّ في وجود قياداتٍ نسائيّةٍ في طليعة الحركتين. كما أن الحركتين تحاولان اتباع نهج ديمقراطيٍّ في اتخاذ القرارات من خلال إشراك جميع أعضائهما، وسماع احتياجاتهم، وتوجهاتهم المختلفة، مما يخلق مساحات إبداعيّة في التواصل مع أبناء مجتمعاتهم.

توصيات

بعد معاينة النماذج المتنوعة، توصلنا إلى بعض التوصيات التي نرى أنّها تستطيع تقديم رؤى مختلفة في عمل الحركات الشعبيّة، والمؤسسات الفلسطينيّة ضد العنف والجريمة في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، وهي على النحو الآتي:

الإصغاء لاحتياجات أهل القضيّة: أظهرت التجارب المختارة أنّ أحد الأسباب الرئيسة لنجاح عمل المنظّمات المذكورة في البحث، أنها تعتمد استراتيجيّة «القاعدة إلى القمة»، أي أنها تبني مشاريعها بناء على احتياجات المجتمع المحلي ولا تحاول إسقاط تكتيكات خارجيّة عليه.

تواصل مباشر ودائم مع أهل القضيّة: من أهم ما رأيناه في التجارب التي استعرضنا نبذة عن أعمالها، مواظبة أعضائها على خلق حلقات تواصل مع أهل القضيّة والأشخاص المتضررين من الأزمة، وهو تواصلٌ دائمٌ ومستمرٌ ولا يقتصر على فعاليّة واحدة فقط؛ مما يؤدي إلى خلق مناخ من الثقة المتبادلة بين أهل القضيّة والحراك، ويُشعر أبناء المجتمع وبناته بأنّهم جزءٌ لا يتجزأ من سيرورة التغيير المجتمعيّ. إضافةً إلى التواجد في الميدان بين الشباب الأكثر عرضة للعنف والانخراط في عالم الجريمة؛ ممّا يساهم في التقارب منهم وإقناعهم بالعزوف عن العنف والجريمة.

ضم أبناء المجتمع إلى المؤسسة أو الحراك، لاسيما الأكثر تضررًا من العنف والجريمة: يعزز اتباع هذا التكتيك من ثقة المجتمع بفرص التغيير المتاحة أمامه، لاسيما عند الحديث عن أفراد لديهم خلفيات جنائيّة، ومرّوا بسيرورة إعادة تأهيل من خلال الحراك (أو خارجه)، مما يمنح بقية أفراد المجتمع شعورًا بأن أمل التغيير حقيقيّ، وأنه بإمكان المتورط في الجريمة أن يختار سبيل حياة مختلف عن ذلك الذي تعرضه منظمات الإجرام؛ ناهيك عن أنّه يمكن استخدام التجربة الغنية التي يتمتع بها الناجي من عالم الجريمة، بما في ذلك علاقاته المتشعبة مع هذا العالم، في معالجة حالات العنف والجريمة العينيّة. كما أنّ احتضان أفراد المجتمع، على اختلافاتهم، يجعل الناس أكثر ثقة بمشاريع الحراك أو المؤسسة؛ لأنها قريبة منهم، وأكثر احترامًا للأشخاص الفاعلين فيها لكونهم جزءًا من المجتمع وليسوا مفروضين عليهم من جهة خارجيّة.

دمج الصوت النسائي في مناصب قياديّة وفي عملية اتخاذ القرارات: في رسالتها لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع، توصّلت العاملة الاجتماعيّة لمى مصاروة، إلى أن صوت النساء مُغيّب من حيز اتخاذ القرار فيما يتعلق بقضايا العنف والجريمة، ويشمل ذلك لجان الصلح التي ليس بها أي تمثيل نسائيّ، كما لا تأخذ بعين الاعتبار احتياجات النساء ضحايا العنف والجريمة اللاتي فقدن أبناء عائلاتهن.[100] رغم وجود

155 Lama Masarweh, Motherhood Experience Among Grieving Women Following Spouses Murder, The Hebrew University of Jerusalem, June 2021.

أصوات نسائيّة عديدة في الحركات المختلفة إلا أن هذه الأصوات تُطمس مقابل الحضور الذكوريّ البارز، إذ تتبع قيادات الحركات بشكل عام استراتيجيات عمل تبعد نساء الحراكات عن اتخاذ القرارات والقيادة، فيفقد التحرك جزءًا أساسيًّا منه. رأينا في النماذج المختارة حضورًا قويًا للنساء وسمعنا أصواتهن القياديّة؛ مما أفسح المجال لتوسيع النضال والعمل المجتمعيّ، وخلق مبادرات عديدة تضم الجانب الاستشفائيّ، والعاطفيّ، وإعادة دمج المنخرطين في الجريمة في المجتمع.

حشد كافة فئات المجتمع المختلفة لمحاربة العنف والجريمة: نرى في التجارب المختارة أنّ نجاحها بضم شرائح أكبر من المجتمع تحت سقف واحد ساهم بإحداث تغيير في المنطقة، والوصول لمجموعة أكبر من الناس. فتوظيف رجال دين في مجتمعات متدينة مثلًا، ساهم في الوصول إليهم باللغة التي يشعرون أنها قريبة منهم ومن أفكارهم، إضافة إلى أن وجود أشخاص ذوي خلفيات جنائيّة، أتاح المجال للوصول إلى عدد أكبر من الشباب المتورطين في الجريمة.

بناء مجموعات تعافٍ وإعادة تأهيل: بينت التجارب المختلفة أهمية التواصل الصحيّ وبناء حلقات دعم لأبناء المجتمع، والتي من شأنها احتضان المتضررين، ومنحهم مساحات آمنة للتعافي، وتقوية العلاقات بين أفراد المجتمع وتمتين الثقة بينهم.

التواصل مع العائلات المتضررة خلال الساعات الأولى من وقوع الحادث: أثبتت تجربة Gideon›s Army، 4Frontg، أن تواصل المجموعتين مع العائلات المتضررة، وإثبات تواجد أفراد المؤسّسة أثناء الساعات الأولى من وقوع الحدث يساهم في تهدئة النفوس، ويضفي صوتًا آخرَ أكثر رزانة، يدعو للسلام وللتصالح من أجل منع أو تقليل احتمال حالات الثأر والانتقام.

التمويل: ينتهي عمل الكثير من الحركات بسبب شحّ التمويل. لذلك على الحراك أن يخطط لإمكانية تأمين تمويل يساهم في عمله واستمراره، دون احتياج تمويل من الدّولة أو مؤسساتها أو أيّ جهة سياسيّة معينة. ويُمكن أن يلجأ إلى التمويل الجماعي، والتبرعات؛ لدعم مشاريعه.

أهل
AHEL